الباب الرابع

آراء ابن باديس السياسية والقومية

الفصل الأول : فى الخلافة الإسلامية ونظم الحكم

الفصل الثانى : فى الدولة والحضارة

الفصل الثالث : فى القومية العربية الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

فى الخلافة الإسلامية ونظم الحكم

أولا : الخلافة كنظام فى الحكم :

لقد استشعر ابن باديس أهمية موضوع الخلافة عند تفسيره لآيات الشورى والأحاديث التى رويت فى الإمامة وتنظيم الحكم ، وعند تأمله لأراء العديد من الفرق الكلامية التى اختلفت حول مسألة الإمامة ، وما أثير فى عصره حول الدعوة لتطبيق الخلافة الإسلامية .

ومعروف أن هذه المسألة كانت المحور والسبب المباشر فى ظهور الفرق والمذاهب ونشأة الخلافات بينها والصراع الذى نشأ بين فرق الشيعة وأهل السنة والخوارج على وجه الخصوص .

وإلى جانب إهتمام رجال التفسير القدامى بهذه المسألة ، ظهرت آراء عدة لرجال الكلام وأصحاب المذاهب حول الإمامة وصفات الإمام ، ومن أحق بها ، وهل هو الأفضل أم المفضول ، وهل هو الأحسن خلقا وعلما وسيرة أم هو الأكفأ فى القدرة وتسيير الأمور ، فكانت الإختلافات والتأويلات المتعارضة رغم إجماعهم على وجوب الإمامة وأهميتها وأن الأمة واجب عليها الإنقياد لإمام عادل يقيم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة . (١) .

---

(١) راجع فى ذلك ما أورده الباقلانى فى جواز إمامة المفضول وأنه لايجوز إمامة من يوجد فى الناس أفضل منه ، وما أورده الإمام الجوينى فى وجوب الإمامة وحكم مبايعة الإمام، وما رددته الشيعة وفرقها فى أحقية إمامة على وأبنائه وما قدمته من نظريات فى الإمام المستقر والإمام المستودع والتبنى الروحى وعصمة الإمام . وما أورده ابن حزم فى الفصل وجوامع السيرة وغياث الأمم ، وما أورده ابن تيمية فى منهاج السنة النبوية والسياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ، وما أورده أبو الحسن الأشعرى فى مقالات الإسلاميين والشهرستانى فى الملل والنحل والبغدادى فى الفرق بين الفرق . الخ..

وكان من الضرورى أن يحدد ابن باديس موقفه من نظام الخلافة بوضوح خاصة وأن الإتجاهات السياسية التى كانت تموج بها الساحة العربية قد أثارت المسألة ووصفت الحكم العثمانى بأنه نظام فى الخلافة الإسلامية . كما أثار رجال الفكر والإصلاح قضية الإمامة ولزوم الإرتباط بين الدين والسياسة والدنيا بالآخرة، وظهرت التأويلات لمصطلح الخلافة والإمامة وطاعة ولى الأمر ، وصفات الإمام ومميزات نظام الخلافة الإسلامية الذى طبقه الخلفاء الراشدون ...

وقبل أن يتعرض ابن باديس بالوصف والتحليل لنظام الخلافة ومميزاته التى تميزه عن نظم الحكم الوضعية ، ومدى صعوبة تحقيق هذا النظام فى الوقت الراهن.. قرر أن مصطلح الخليفة يطلق على الحاكم الأعظم الذى يخلف النبى ﷺ فى إدارة شئون المسلمين كافة ، وتكون طاعته واجبة لأنه يحكم بقانون سماوى ويسعى لتحقيق هدف أسمى هو رعاية مصالح العباد وحماية الدين وحرية العقيدة والنفس والمال مع مراعاة الصدق والإلتزام بالشرع .. وأن هذه المسئوليات تتطلب ضرورة تولية الأرجح فى الكفاءة على الأرجح فى الخيرية . (١)

ومن الملاحظ أن هذا الرأى موافق لرأى غالبية الفرق والمذاهب وفى مقدمتها الخوارج والمعتزلة الذين كانوا يفضلون صفة الكفاءة للإمام فى السياسة والحكم على الأفضلية فى أمور الدين تعبيرا عن إيمانهم بأن هذه المناصب سياسية أكثر منها دينية . (٢)

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٢ ص ١٥ .

(٢) راجع آراء القاضى عبد الجبار فى المغنى وشرح الأصول الخمسة وفضل الإعتزال وما كتبه بعض الباحثين المعاصرين فى مسألة الخلافة والحكم فى الاسلام مثل الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور محمد عمارة ، والدكتور محمد عبد الحميد الرفاعى والمستشار سالم البهنساوى وغيرهم .

والخلافة فى المصطلح الشرعى عند ابن باديس هى المنصب الإسلامى الأعلى الذى يقوم على تنفيذ الشرع الإسلامى وحياطته بواسطة الشورى من أهل الحل والعقد من ذوى العلم والخبرة والنظر ، وبالقوة من الجنود والقواد وسائر وسائل الدفاع من أجل خير البشرية العام . (١)

وسوف نستعرض ما قدمه ابن باديس من آراء فى نظام الخلافة ومميزاته وصفات الإمام ، وموقفه الرافض لنظام الخلافة العثمانية وإستدلالاته على صعوبة تحقيق نظام الخلافة الإسلامية فى العصر الحديث ، وذلك من خلال ما قدمه من تفسيرات لآيات الشورى والحكم وبعض الأحاديث فى الإمارة ونظام الملك وتحليله لخطبة أبى بكر الصديق عند توليه الخلافة .

وقد بدأ ابن باديس فى وصف طبيعة الخلافة الإسلامية كنظام سياسى فى الحكم وما يتطلبه من شروط لازمة يصعب تحقيقها بسهولة وفى مقدمتها :

١- أن المثل العملى الأعلى فى تاريخ الخلافة الإسلامية الناجحة هو تولية أبى بكر الصديق والخلفاء الراشدين ، إذ أمكن أن يتولى هذا الأمر (أى الخلافة) شخص واحد فى صدر الإسلام وزمنا بعده على فرقة واضطراب ثم قضت الضرورة بتعدده فى الشرق والغرب ثم انسلخ عن معناه الأصلى وبقى رمزا ظاهريا تقديسياً ليس من أوضاع الإسلام فى شىء .(٢)

٢- أن الخلافة لا تكون لفرد بعينه ، لأن الله تعالى يستخلف من يريد من المؤمنين لهذا المنصب ليكون خليفته فى الحكم ، ومن ثم جعل المؤمنين جميعا ليكونوا خلفاء له خلافة عمومية لا لفرد بعينه أو أسرة أو طبقة مصداقا لقول النبى ﷺ " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " .

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٣ ص ٤١٠ - ٤١١ وفى الشهاب عدد مايو ١٩٣٨.

(٢) ابن باديس : مجلة الشهاب جـ ٢ م ١٤ عدد ١٩٣٨ ص ٨٦ ، وفى ملف الطليعة. د. محمد عمارة عدد ١١ نوفمبر ١٩٧٢ .

وهذه الرعاية الكلية تعنى المسئولية المشتركة للجميع سواء حاكم أو محكوم، وأن الحاكم لا يطاع إذا أمر بمعصية أو خرج عن حدود الكتاب والسنة .

٣- أن الخلافة كنظام فى الحكم النبوى يقوم على مبدأ أساسى عام هو الحرية والشورى والعدالة ، أى أنه يتطلب حرية الرأى والإختيار والتشاور فى كل رأى هام للرعية ، كما صح عن أبى هريرة قوله : إنه لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ .

ويلاحظ أن كتب السيرة والتفسير مليئة بوصف هذه المواقف سواء فى السلم أو الحرب .(١)

وإلتزاما بأمر الله سبحانه " فإن تنازعتم فى شيء فردوه الى الله ورسوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا " (٢)

٤- أن نظام الخلافة كنظام فى الحكم لم يفهم على حقيقته بعد ، ولم يدرج فى دساتير النظم الحديثة المدونة ، ولهذا فهو يحتاج إلى المزيد من الدراسة والتحليل وحسن العرض وبيان مميزاته وكفاءته وشموله لمختلف المبادىء السياسية.. هذا بالإضافة إلى أن تحليل الواقع العربى بظروفه ومتغيراته وعوامل تخلفه، يجعل من الضرورى التغلب على أسباب الضعف والتخلف أولا ووضع الحلول المناسبة لمختلف القضايا .

ولذا فإن تطبيق نظام الخلافة فى ظل هذه المتغيرات من الأمور المستحيلة لعدة أسباب منها :

---

(١) راجع أحمد عبد الفتاح بدر : مفهوم الشورى فى أعمال المفسرين ، المستشار سالم البهنساوى فى : الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية .

(٢) النساء : ٥٩ .

أ – إنه يتطلب الجمع بين إدارة الدين وإدارة الملك ، مع صعوبة الفصل فى نفس الوقت بين الدين وأحكامه وبين نظام الحكم القائم ، وهذا مالم يتحقق إلا فى عهد الخلفاء ، وبعدها بدأ الفصل بين الدين والحكم .

ب– البعد عن أصول الدين وضعف الدولة وإضطراب النظام ، وعموم الفوضى ، واقتسام السلطة إلى سلطتين أحدهما صورية وهى للخليفة وأخرى هى سلطة الأتراك ، هذا بالإضافة إلى الدور الإستعمارى المؤثر فى استغلال شعار الخلافة وبث روح الفرقة والإختلاف بين المسلمين.(١)

جـ– أن محاولات تطبيق نظام الخلافة قد فشلت بالفعل والمثال على ذلك فشل نظام الخلافة ايام الدولة العثمانية الذى ابتعد عن أصول الدين ، وقدم الملك على الدين ، وجعل نسبة الأتراك إلى قريش لتكون الكرامة فيهم ، وهذا هو موقف ورأى الكواكبى .(٢) الذى يؤيده ابن باديس الذى يقرر صراحة . أن خيال الخلافة لن يتحقق وأن المسلمين سينتهون يوما ما إلى هذا الرأى .(٣)

وهذا بلا شك يفسر موقف ابن باديس من الخلافة العثمانية ورفضه تشبيه هذا النظام بنظام الخلافة النبوية ، فكان تأييده لموقف أتاتورك الساعى إلى إلغاء نظام الخلافة وبعث الروح الإستقلالية للدولة التركية ، وأكد أن الخلافة كنظام فى الحكم قد أصبحت رمزا تقديسيا وشكلا لإستمرار الملك منذ عصر الفارابى أيام العباسيين وحتى دولة الأتراك العثمانيين ، وأن الأتراك يوم ألغوا الخلافة فى عصر مصطفى كمال أتاتورك إنما ألغوا نظاما خاصا بهم وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى ..(٤)

---

(١) فهمى جدعان .د : أسس التقدم عند مفكرى الإسلام ص ٣٤٤ – ٣٤٥ .

(٢) سامى الدهان .د : الكواكبى . ص ٩٢ .

(٣) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٣ ص ٤١١ – ٤١٢ .

(٤) محمد الميلى : ابن باديس وعروبة الجزائر ص ٨٨ .

وهذا الموقف من جانب ابن باديس قد أثار العديد من رجال الفكر والسياسة فى عصره سواء المؤيدين أو المعارضين لنظام الحكم العثمانى وفى نفس الوقت صادف تأييدا فى أوساط السياسة العربية الأخرى .

ويصف فهمى جدعان فى كتابه . أسس التقدم عند مفكرى الإسلام : موقف ابن باديس بوصفه واحد من الذين عبروا عن وجهة نظر جديدة فى فهمهم لمنصب الخلافة الإسلامية ، وهو موقف يتميز بالشجاعة والصدق لاستنكاره صراحة الصورة التى انتهت إليها الخلافة مع الأتراك العثمانيين ، كما يصف ابن باديس : بأنه واحد من أبرز المفكرين المعاصرين الذين تميزوا بالتفكير النقدى خاصة فى الجانب السياسى والاجتماعى ، وأنه كان فى مقدمة الذين انصرفوا من ناحية إلى دراسة القانون الوضعى الحديث ومقارنته بأحكام الشريعة الإسلامية ، وممن توصلوا إلى نتيجة هى استحالة تطبيق نظام الخلافة الشورية واستبدلوا بها فكرة الحكومة الإسلامية الديمقراطية الشورية . بوصفها حكومة ذات طابع خاص.

وقد مثل هذا التحول عدد من المفكرين العرب القانونين والسياسيين والعلماء مثل عبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، وعبد الرازق السنهورى وحسن البنا وعبد القادر عودة فى مصر ، وعبد الرحمن البزاز فى العراق وعلال الفاسى فى المغرب .(١)

ثانيا : الخلافة الإسلامية ونظم الحكم الوضعية :

حدد ابن باديس ثلاث مميزات لنظام الخلافة لا توجد فى نظم الحكم الأخرى وهى :

١- أنه نظام فى الحكم الدينى ، الذى يستمد أصوله وشرائعه من الوحى الإلهى وما جاء فى الكتاب والسنة من دعوة لحفظ مصالح العباد فى الدنيا

---

(١) فهمى جدعان : أسس التقدم عند مفكرى الإسلام ط ١ يناير ١٩٧٩ . ص ٣٤٤ .

وتحصيل سعادتهم فيها وفى الآخرة ، ومن ثم فإن نظام الحكم فى الخلافة يقوم على أساس التطبيق الملتزم لأحكام القرآن الجامعة للأصول التى ينبنى عليها ذلك الملك .

٢- أنه نظام ثابت وعام . لأن الأحكام الإلهية المكونة له تتميز بالثبات والعمومية والإطلاق ، فهى أحكام تشمل كافة المسلمين فى كل مكان وصالحة لكل زمان ، وأن الجميع مسئول عن تنفيذها ومعرفتها ، وأن هدفها العام هو تحقيق الخير لكافة البشر . وفى ذلك يقول ابن باديس : " إن هذا النظام له هدف واحد هو خير البشرية العام ، وأن هذا الخير العام لا يتأتى إلا بالتعاون فى المصلحة العامة لقوله تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"(١)

ولهذا فإن تحقق هذا النظام يتوقف على المشاركة الجماعية فى الحكم والدعوة العملية لحفظ التوازن بين طبقات الأمة فى الثراء والفقر ومراعاة جميع الحقوق والشعور بالمسئولية لكل من الراعى والرعية .

ويصيف ان باديس هذه الميزة فيقول : إن الملك ولاية على المجتمع لحفظ نظامه لمقتضى عموم النظر وشمول التصرف فى روابط الناس ومعاملاتهم وتصرفاتهم وتسييرهم فى ذلك كله على أصول عادلة توصل كل أحد إلى حقه وتصرفه عن حق غيره ليعيشوا فى رخاء وسلام ويبلغوا غاية ما يستطيعون من متع الحياة .(٢)

٣- أنه نظام فى خلافة النبوة : لأن الحكم فيه يتوقف على إتباع الرسالة النبوية فى الصريح المحكم من القرآن والواضح الثابت من قول الرسول ، فمصدر

---

(١) المائدة : ٢

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٢ ص ٩ ، جـ ٣ ص ٤١٠ .

هذا النظام الثابت هو التشريع الإلهى المنزل من قبل الله ، وما النبى إلا الحاكم الأول فى الدولة الإسلامية الأولى .

وهكذا يميز ابن باديس بين نظام الخلافة ونظم الحكم الوضعية من حيث :

أ- أن نظام الخلافة نظام دينى يتميز بالعمومية والثبات لأن مصدره الوحى الإلهى المعصوم ، أما الحكم الوضعى فهو بشرى متغير لارتباطه بدوافع الإنسان وظروف الزمان والمكان ، ومن ثم نرى بوضوح استمرار الإختلاف والتغيير فى نظم الحكم الوضعية تبعا لاختلاف دوافع وظروف الإنسان فى كل عصر .

ب- أن نظام الخلافة يشترط العدالة والشورى والإحسان العام كمبدأ أساس لقيامه ونجاحه ، أما النظام الوضعى فيعتبرها وسائل لتقوية الملك وليست دعائم وأطر لازمة ، وبالتالى فلا تلتزم النظم الوضعية بميزان الإحسان والعدل ، ولا يرعى الحاكم فيه من العهود فى الغالب إلا ما يحقق مصلحته أو يلزمه بمراعاة قوة خصمه . وقد اعترف كثيرون بذلك ومنهم برتراند رسل حين قال : إن الحكومة الآن كالحكومة من قديم لا تقر من الآراء ما يتعارض مع مصلحتها المباشرة .(١)

ولذا يشترط ابن باديس فى الخلافة كنظام فى الحكم الإلتزام بالإحسان العام لكل الجنس البشرى ، فى حين يقصر الحاكم البشرى بره ، وإحسانه على أبناء جلدته ومن كانوا من جنسه ولونه .(٢)

جـ- أن نظام الخلافة يلتزم بمبادىء الأخلاق النبوية فى الإيثار والقوة القائمة على العلم والدافعه لتحقيق العدل والرحمة ،.فى حين تؤسس الحكومات الوضعية على القوة المطلقة المندفعة لتحقيق المصلحة ولو بالبغى والتسلط والعدوان ، لأن قوتها مؤسسة على الجهل بالغايات وثواب الآخرة .

---

(١) برتراند رسل : السلطة والفرد ص ٥٢ .

(٢) تفسير ابن باديس فى مجالس التذكير . ص ٤١٦ .

د- أن نظام الخلافة يقوم على مبدأ الحرية وسيادة القانون ، والقانون هنا هو القانون الإلهى العادل الذى يعطى الجميع حقوقهم بالعدل ، والخليفة فيه فرد يتميز بالثقة وحسن السيرة والقدرة على تحمل المسئولية ، وهذا القانون لا يعطى السلطة للحاكم وحده بل لكل من يستطيع معاونة الحاكم ، وما يسمونه بجماعة الأعوان الذين يكفون الناس عن الشر والفساد ويتولون تربيتهم وتنظيمهم .

ويصف ابن باديس هذا القانون وأهميته : بأنه القوة الباعثة على الحضارة وأن الإنسان يصبح بدونه مهما كانت صفته أخطر الحيوانات المتوحشة ... وأن هذا القانون هو المبدأ اللازم لكل ملك لأنه لا يكون ملك إلا بأسباب الملك ، وما السببية إلا الطريق إلى العلم والتقدم والحضارة وإهمالها يؤدى إلى الضعف والتأخر، وواقع الأمة العربية والإسلامية شاهد على ذلك ..

فالقانون عند ابن باديس ليس مجرد أحكام وأوامر إلهية فقط بل هو إلتزام بالعلم والسببية إلى جانب الإعتماد على الله . ولأن الأخذ بالأسباب أى العلم وحده دون الإعتماد على الله لا يؤدى إلى النجاح والعمران ، فالإنسان مع اخذه بالأسباب هو محتاج إلى الله لضعفه وما التوفيق إلا من عند الله الذى خلق الأسباب ويسرها .(١)

ومع هذا التمايز الجوهرى بين الخلافة الإسلامية كنظام فى الحكم الإلهى النبوى الملتزم إلى حد كبير بالخطاب القرآنى وبين النظام الوضعى يشير ابن باديس إلى العديد من نقاط الإلتقاء التى تشترك فيها كل نظم الحكم مثل متطلبات القوة والعدالة والنظام والشورى ومظاهر الأبهة والجمال والعظمة التى يتطلبها نظام الملك لما جبل عليه الخلق من اعتبار للمظاهر والتأثر بها .

---

(١) محمود قاسم : د : الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحى . ص ٦٦ - ٩٧ .

وبالتالى فإن الصفة الأولى المشتركة بين جميع نظم الحكم هى صفة القوة ، والقوة التى يريدها ابن باديس هى القوة المؤسسة على العلم بوصفها مجموعة العلاقات السببية المترابطة المؤدية إلى القوة ، فالقوة المؤسسة على العلم لا تكون إلا بامتلاك أسبابها ولا يكون ملك إلا باسباب الملك ، ولا تكون قوة إلا بأسباب القوة ، ولا تكون السيادة إلا بأسباب السيادة ، والسيادة لا تكون إلا بالملك ، وأن الملك لا يكون إلا بالقوة قوة الأبدان وقوة العقول وقوة الأخلاق وقوة المال ، وبهذه القوى يكون العدل الذى هو أساس الملك ، وأن لا قوة إلا بالعلم والعمل والتهذيب .

إنها قوة العلم والمدنية والأخلاق وليست قوة الجهل الباطشة أو القوة المادية المدمرة ، بل هى قوة العلم ، إذ على العلم تبنى الممالك وتشاد وهو الأساس لكل أمر من أمور الدين والدنيا وعليه تبنى سعادة الإنسان ، وبالعلم ينظم الملك ويساس وهو سياج المملكة وراعيها ، وهو سلاحها الحقيقى وبه دفاعها وأن كل مملكة لم تحكم به (تحمى به) فهى عرضة للإنقراض والانقضاض .(١)

وإلى جانب العلم بأسباب القوة يؤكد ابن باديس ضرورة التزام جميع نظم الحكم بمبدأ الشورى ، لأن استمرار الحكم ونجاحه يتوقف على التشاور المستمر حول المصالح العامة ، وذلك استجابة للأمر الإلهى " وشاورهم فى الأمر " .(٢) وقوله تعالى " وأمرهم شورى بينهم " .(٣)

---

(١) تفسير ابن باديس فى مجالس التذكير ص ٤٢٠ وفى مجلة الشهاب جـ ١ م ١ عدد فبراير ١٩٣٤ ص ٩ - ١٤ وفى : ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٢ ص ١٧ - ١٩ ، ٢١٦ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) الشورى : ٣٨ .

ثالثا : شروط الخلافة النبوية عند ابن باديس :

الخلافة النبوية عند ابن باديس كنظام فى الحكم تقوم على أساس المسئولية المشتركة والرعاية الكاملة من الكل على الكل سواء حاكم أو محكوم لقول النبى ﷺ : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، وقوله فى حديث آخر : إن الله يرضى لكم ثلاث : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم " .

وأن هذه المسئولية والرعاية تتحقق عند الإلتزام بالحق ونصرته ، وإقامة ميزان العدل فى القول والحكم والشهادة وبنشر الهداية والإحسان والدعوة إلى القوة وإلى الجمال والتحبيب فيه وفى جميع مظاهر الحياة ولكن فى نطاق الفضيلة والعفاف . (١)

ويرى ابن باديس أن مسئولية التنفيذ لهذه الرعاية تقع على الخليفة أولا لأنه الراعى المسئول عن تنفيذ أوامر الله والمحافظة عليها بالعدل وتفقد أحوالها ، وإعطاء كل فرد ما يحتاجه وصرفه عما يؤذيه ومالا فائدة له فيه ، ووقايته مما يعود عليه وكل ما جعل الله تحت يده شيئا من مخلوقاته فقد استرعاه ذلك الشىء ، أى صار مسئولا عنه عند الله تعالى.

وفى هذا تأكيد على عموم المسئولية وشمولها لجوانب الحياة والإنسان والعمران لأن مسئولية الرعاية تعنى رعاية النفس والعقل والبدن وكل ما يجب رعايته من أخلاق كالتزام الحق وعدم الخداع والغش واستجابة لأمر النبى ﷺ فى قوله : ما من عبد يسترعيه الله يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة .

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٢ ص ١٠ - ١٢ .

وما فى هذا الحديث من تأكيد على عظم الرعاية والمسئولية لأن واجب الراعى الأول هو أن ينصح لما استرعاه من رعيته فى القول والعمل وألا يدخر شيئا من جهده فى حفظه وتفقد أحواله وإعطائه كل ما يحتاج إليه ، ويصرفه عما يؤذيه ومالا فائدة له فيه ، ووقايته من كل ما يعدو عليه ، وأن يستصفى له من الآراء والأعمال والأقوال أبلغ ما يقدر عليه فإذا قصر فى شيء من هذا فقد غش رعيته بما يدخله عليها من الضرر فى ولايته عليها وارتكب بذلك الكبيرة التى توعد عليها بالنار ، فاعظم الرعايات رعاية أمر العامة بالأمر والولاية .(١)

ومن أجل تحقق خلافة النبوة بالفعل حدد ابن باديس مجموعة الشروط اللازم توافرها فى الخليفة كما قررها الشرع وأثبتتها تجارب الأمم وتعاقب الدول، وهى :

١- أن يكون الخليفة رجلا وليس إمرأة : لأن المرأة لا تلى ولاية ولا إمارة ولا قضاء ، وأنها لا تصلح للولاية من ناحية خلقتها النفسية ، فقد أعطيت من الرقة والعطف والرأفة ما أضعف فيها الحزم والصراحة اللازمين للولاية ، وفى اشتغالها بالولاية إخلال بوظيفتها الطبيعية الإجتماعية التى لا يقوم مقامها فيها سواها ، وهى القيام على مملكة البيت وتدبير شئونه ، وحفظ النسل بالإعتناء بالحمل والولادة وتربية الأولاد ... فولاية المرأة لاتكون إلا فى البيت حيث تمارس مسئوليتها الإجتماعية والأنسانية والتربوية أما ولاية الرجل فهى عامة لأن للرجل حق الولاية وتحمل أعباء الحكم ومسئولية البيت ، فهو السيد فى قومه وبيته وهو الأكثر عملا والأجلب نفعا له ، وهو سيد الوطن والأعمل والأنفع فى سبيله ، فالسيادة وألولاية التى للرجل لاتكون إلا بالنظر والتدبير والتعظيم والتذكير ، إذ

---

(١) ابن باديس : من هدى النبوة . حديث غش الرعية ص ١٦٧ - ١٦٩ وفى ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٢ ص ١٥٢ - ١٥٤ .

السيادة الحقيقية إنما هى بالنفع والعمل المنتج .(١)

ويستدل ابن باديس على صحة هذا الرأى بتفسيره لما جاء فى القرآن فى سورة النمل من حديث الهدهد إلى سليمان عليه السلام عن ملكة سبأ وقومها وعبادتهم للشمس من دون الله(٢) وبحديث النبى ﷺ : لن يصلح قوم ولوا أمرهم إمرأة .(٣)

٢- أن يكون الخليفة عادلا رحيما . لأن العدل والرحمة سياج الملك وسبب فلاح الأمة وصلاحها ، وبهما يزول الخطر والظلم ، أما الحاكم الظالم فمن أسباب فساد الأمة لأن الجور والظلم يؤدى إلى فساد كل شىء ، حتى القلوب والعقول والأخلاق والأعمال والأحوال فتنحط الأمة فى دينها ودنياها ويلحقها من جرائه كل شر وبلاء وهلاك ، ومثال ذلك ما لحق بالأمم الإسلامية من الشر والهلاك فكله جاءها على يد السلاطين الجائرين منها ومن غيرها .(٤)

والعدل والرحمة كشرط لخلافة النبوة يمكن تحققه من خلال الإلتزام بالمسئولية والحرص والمساواة وعدم التميز فلا يؤثر الخليفة قرابة ولايقدم أحدا لهوى ، والسعى لتلبية حاجات الرعية ، والمعرفة التامة بالحقوق والواجبات ، إذ على هذه المعرفة وتنفيذها يتوقف نظام الأمة وقيامها وتحقق سعادتها ، والإلتزام بأوامر الله وتعليمات رسوله ﷺ الداعية لإقامة العدل وعموم الرحمة كما فى قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن

---

(١) محمد المٰيلى : ابن باديس وعروبة الجزائر . ص ١٣٤ .

(٢) النمل : ٢١ - ٤٤ .

(٣) ابن باديس : من هدى النبوة ، وفى آثار ابن باديس : جـ ٢ ص ٤٣ - ٤٤ .

(٤) ابن باديس : مجلة الشهاب . جـ ٢ م ١٣ عدد ابريل ١٩٣٧ . وفى آثار ابن باديس جـ١ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا "(١) وقوله تعالى : " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا " .(٢)

وقول النبى ﷺ : من ولى من أمر أمتى شيئا فأمر أحدا محاباة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا .

وقوله : من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله فقد خان الله والرسول والمؤمنين .

وتحقق العدل عند ابن باديس يتطلب نقيضين فى الظاهر هما القوة والرحمة، لأن أساس الحكم هو العدل والرحمة والخليفة لابد أن يكون عادلا رحيما ولايكون كذلك إلا بقوة تعين على تحقق العدل ، فتكون القوة العادلة الرحيمة التى لا تظلم الضعيف الفقير ولا تخاف من القوى الغنى ، فالعدل والرحمة كصفة لازمة للحاكم لا تعنى فيه الضعف والرقة والإستسلام لأن العدل والإحسان يقومان على العزة والرحمة ، وعلى ذلك فالضعيف الذليل لا ينهض بالحكم ولا يقيم ميزان العدل وكذلك فإن القاسى الظالم لايكون منه إحسان .(٣)

٣- أن يكون الخليفة ذا قدرة وكفاءة : لأن الأكفأ هو الأصلح الذى تظهر كفاءته فى قدرته على تسيير الأمور وفى الفراسة وبعد النظر وصدق الحس ، وهى قدرة تختلف باختلاف الأشخاص والأمور والمواطن .

ويستدل ابن باديس على أهمية هذا الشرط بدليل نقلى وآخر تاريخى ، فالدليل النقلى يتمثل فى قول النبى ﷺ : إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات .

---

(١) النساء : ١٣٥ .
(٢) النساء : ٥٨ .
(٣) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٢ ص ٦٨ - ٦٩ .

أما الدليل التاريخى فيتمثل فى تولية خالد بن الوليد لقيادة الجيش للكفاءة مع وجود من هو أفضل منه فى الخيرية ، وهذا يعنى : إن الذى يتولى أمراً من أمور الأمة هو أكفؤها فيه لا خيرها فى سلوكه .

وعلى ذلك فالحاكم يختار لصفته وكفاءته وقدرته وشجاعته ، وأن الذى يتولى أمر الأمة هو من كان عنده من بعد النظر وصدق الحس وصائب الفراسة القوة لإدراك الأمور قبل وقوعها وبها يمتاز على غيره ، ويكون سريع الإنذار بما يحس ويتوقع.(١)

ويشير ابن باديس فى تفسيره إلى مجال تحقق هذا الشرط ولزومه عند قيام الخليفة بمسئولياته وفى مقدمتها مسئولية التحدث باسم الأمة والتربية والرعاية ، ومعرفة كل صغير وكبير فى مملكته ليحاسب المسىء على خطأه وحسب كبر ذنبه، ويوضح ذلك فيقول : من حق الرعية على راعيها أن يتفقدها ويتعرف أحوالها إذ هو المسئول عن الجليل والدقيق منها ، يباشر بنفسه ما استطاع مباشرته فيها ويضع الوسائل التى تطلعه على ما غاب عليه منها ، وينيط بأهل الخبرة والمقدرة والأمانة تفقد أحوالها حتى تكون أحوال كل ناحية معروفة مباشرة لمن تكلف بها ، فهذه المهمة هى مهمة كل حاكم وكل من له رعية سواء فى الأسر أو الأمم والجماعات ، وهى تحتاج إلى قدرة كبيرة وكفاءة لتحمل مسئوليات أخرى بجانب التعرف على أحوال المملكة أفرادا وجماعات فعليه مسئولية تربية الناس ورعايتهم ثم الإحسان إليهم ، وإنقاذ الأمة من مصارع السوء ، والحمل بالرفق والعمل على السير فى أحسن السبل ، فكل هذا يحتم عليه أن يكون أعرف الناس بما يصلحهم، وأعرف بطباع أتباعه وأحق بتأليفهم وتربيتهم لأنه المسئول عن

---

(١) راجع : محمود قاسم .د : ابن باديس الزعيم الروحى ص ٦٦ ، ابن باديس : حياته وآثاره ، جـ ٢ ص ٢٦ – ٢٨ ، جـ ٣ ص ٤٠٣ .

جميع ولايته ، وهذه الولاية والمسئولية تحتم عليه رعاية مصالح الأمة بقدرة وكفاءة، إذ أن كل من تولى أمرا من أمور الأمة فهو من رعاتها المسئولين عليها.(١)

٤- أن يكون الخليفة ذا قوة وأمانة : لكى يتحقق العدل وينتظم الملك ، وهى تظهر عند إلتزام الحق والإعتبار بالحجة والبرهان وأداء المسئولية ، وهى لازمة عند معاقبة الأشخاص أو تقرير العقوبات ، فكل هذا لايكون إلا بالعدل الذى هو أساس الملك وسياج العمران .

ويؤكد ابن باديس على أن القوة اللازمة للحكم هى التى يحميها العلم وتقودها المعرفة ويحكمها النظام فى إطار مبدأ عام هو أن الحق فوق كل أحد ، وأن لسلطان الحق لابد أن يخضع كل سلطان مهما كانت قوته ومملكته أو مكانته... فالملك يقوم على القوة ، وكذلك يؤخذ الملك بالقوة ، وإنما أعلى الممالك وأثبتها ما بنى على العلم وحمى بالسيف ، وإنما يبلغ السيف وطره ويؤثر أثره إذا كان العلم من ورائه .(٢)

والقوة والأمانة صفتان لازمتان للخليفة لأنهما من الخصال الحميدة ، وهما ركنا الولاية ، الذى يحتاج إليهما فى ميدان القتال والرغبة فى التضحية وفى مجال حفظ الأموال واستخراجها وفى إدارة الحرب وحفظ النظام داخل المجتمع ، كما تظهر فى مجال اختيار الأعوان من العلماء والأمراء ومجالس الشورى والقضاء .. كما تظهر أمانة الخليفة فى مدى خشيته لله وترك خشية الناس ، وحفظه لأوامر الله وطاعته ، وحفظه لأموال أمته ، وصدقه فى ولايته وإمارته ، لأن مسئولية

---

(١) ابن باديس : تفسير بن باديس فى مجالس التذكير . ص ٤٤٢ ، وفى ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٢ ص ١٧ - ٢٦ ، وفى جـ ٤ ص ٢٦٦ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره : جـ ٢ ص ٣٤ ، وفى التفسير الباديس ص ٤٢١ .

الحكم من أهم الولايات والأمانات لقول النبى ﷺ لأبى ذر الغفارى فى الإمارة : إنها أمانة وأنها يوم القيامة خذى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها.

٥- أن تقوم الخلافة النبوية على الشورى : والشورى فى اللغة هى طلب الرأى والإشارة بالصواب ، أو كما يقول الزجاج بأنها إظهار رأى الطرفين المستشير والمستشار لإختيار أفضلهما ، وهى فى العموم عملية عقلية يقوم بها أهل الفتوى والإجتهاد من العلماء لإبداء الرأى الصالح والمفيد .

أما فى الإصطلاح فهناك إجماع على أن الشورى أمر إلهى واجب يرقى إلى درجة العبادة ، وهى فريضة وتكليف إلهى لإصلاح الأمة وإستقامة أمرها .

- وأن الشورى من أهم أصول التشريع الإسلامى بعد الكتاب والسنة لأن بها ينعقد الإجماع فلا إجماع بغير شورى .

- وأن الشورى واجبة فى أمور الدنيا ومواقع الإجتهاد التى لم يرد فيها نص قطعى الدلالة .

- وأن الشورى صفة فعلية لازمة لكل مؤمن وراع لقوله تعالى : فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .(١)

وقوله تعالى : فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر .(٢)

وقوله تعالى : والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون .(٣)

---

(١) النحل : ٤٣ .

(٢) آل عمران : ١٥٩.

(٣) الشورى : ٣٨ .

وقد حدد ابن باديس المتطلبات اللازمة لتحقق الشورى فى نظام الخلافة النبوية والإستفادة منها وهى :

أ - ضرورة موافقة الأمة ورضاها ، لأن الحكم فى نظام الخلافة لايكون إلا بإختيار الشعب وموافقة الأمة ، إذ لا يحق لأحد فى ولاية أمر من أمور الأمة الإسلامية إلا بتولية الأمة له ، فهى صاحبة الحق والسلطة فى الولاية والعزل ، ولهذا فلا يتولى أحد أمرها إلا برضاها ، ولا يورث شىء من الولايات ولا يستحق الإعتبار الشخصى إلا من كان حكمه بالاختيار والموافقة .(١)

ب- ضرورة الإلتزام بالقانون بوصفه المبدأ العام الصادر عن إختيار ورأى الأمة ، والإلتزام هنا يعنى ضرورة إعطاء كل ذى حق حقه ووضع الأشياء فى مواضعها . وفى هذا يقول ابن باديس : لا تحكم الأمة إلا بالقانون الذى رضيته لنفسها وعرفت فيه فائدتها ، وما الولاة إلا منفذون لإرادتها ، فهى تطيع القانون لأنه قانونها لا لأن سلطة أخرى لفرد أو جماعة فرضته عليها كائنا من كان ذلك الفرد وكائنة من كانت تلك الجماعة ، فتشعر أنها حرة فى تصرفها ، إذ هذه الحرية والسيادة حق طبيعى وشرعى لها ولكل فرد من أفرادها .(٢)

والإلتزام بالقانون والشعور بالحرية والسيادة هو الذى يعطى الأمة الحق فى مراقبة الحكام ومناقشتهم ، لأن الأمة هى صاحبة النظر فى ولايتهم وعزلهم فى إطار المسئولية المشتركة ، إذ عليها ان تبذل للوالى العون إذا أرادت إستقامته ، ثم نصحه وإرشاده إذا ضل ، وتقويمه إلى الطريق الضحيح إذا زاغ فى سلوكه .(٣)

---

(١) راجع تفسير ابن باديس وشرحه لخطبة أبى بكر الصديق فى قوله : وليت عليكم ولست بخيركم .

(٢) راجع تفسير ابن باديس لخطبة أبى بكر الصديق ، ابن باديس : حياته وآثاره. جـ ٣ ص ٤٠٤ ، وفى ابن باديس الزعيم الروحى لحرب التحرير الجزائرية . ص ٦٥ ، ١٦ .

(٣) نفس المرجع السابق .

جـ- ضرورة الإلتزام بقيم العدالة والمساواة والتعاون الصادق بين الأفراد من أجل نجاح الحكم ، ومن هنا كانت الشورى هى التعاون الصادق والإتفاق من أجل الصالح العام لا من أجل مصلحة الحاكم وحده ، لأن الشورى فى أصلها هى التعاون من أجل البناء دون تمييز بين فرد وآخر .

فالشورى عند ابن باديس هى الإجتماع للتشاور من أجل الصالح العام ، وهى شيء لا غنى عنه لولى الأمر لأنها نظام محكم من المبادىء يطبق فى جميع الأحوال وهو فى حالة الحرب ألزم ، وهى قانون سنه الرسول ﷺ لأمته لإبداء الرأى فى الشئون العامة من الكبير والصغير ، والرجوع للصواب إذا ظهر من أى أحد كان(١) وهنا تظهر أهمية الشورى كنظام عام لازم لكل أمر عام حيث يجمع الناس من أهل الرأى والمعرفة والخبرة والتجربة ، وفى كل ما يعم نفعه ، أو ضرورة من أمور السلم والحرب وشئون الحياة والإجتماع ليتشاوروا فيما بينهم ويستعينوا لبعضهم لرأى بعض من أجل المصلحة ..

وهنا يقرر ابن باديس أهم شروط الشورى وهى حرية إبداء الرأى من جميع الرعية والرجوع إلى الصواب ، إذ عليهما تبنى سعاده الأمة وعظمتها ، وبها تشعر بالوحدة بين الرعية ورعاتها ، ومنها تستمد العظمة اللازمة لها فى حياتها ، وقد قررها الإسلام وبينها النبى ﷺ تبيانا عمليا .(٢)

وهكذا حدد ابن باذيس بوضوح أهم ملامح نظام الحكم فى الأسلام والشروط اللازم توافرها فى نظام الخلافة النبوية والصعوبات التى تواجه تحققه فى عصرنا ، كما حدد موقفه من الدعوة التى ترددت لتطبيق نظام الخلافة فى مطلع هذا القرن ، مع ملاحظة تبنى ابن باديس لآراء الأفغانى ومحمد عبده الرافضة

---

(١) تفسير ابن باديس فى مجالس التذكير ص ٥٥٦ ٥٥٧ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ، جـ ٤ ص ٢٦٢ .

لوصف الخلافة العثمانية بالخلافة النبوية ، ثم معارضته للدعوة التى تبنتها الحكومة المصرية آنذاك لعودة الخلافة الإسلامية ، وجاء فى كتاب ابن باديس لشيخ الأزهر فى مصر قوله : " إن ما يحدث فى مصر من دعوة إلى الخلافة إنما هو لعبة استعمارية لإستغلال اسم الخليفة ، لأنه ليس بعد رسول الله ﷺ شخص مقدس الذات أو معصوم ، وأن الأمم المتمدينة لن تنخدع بهذه اللعبة حتى ولو جاءتها من تحت الجبب والعمائم .. وسيرى صاحب الفضيلة الشيخ الأكبر أن خيال الخلافة لن يتحقق وأن المسلمين سينتهون يوما إلى هذا الرأى .(١)

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره : جـ ٣ وفى ملف الطليعة . إعداد الدكتور محمد عماره . العدد ١١ نوفمبر ١٩٧٢ . ص ٨٧ .

obeikandl.com

الفصل الثانى
فى الدولة والحضارة

أولاً :أسس قيام الدولة العربية الموحدة :

لم يكن ابن باديس أول من أثار فكرة قيام الدولة العربية الموحدة ، فقد أثارها من قديم بعض فلاسفة الإسلام الأوائل أمثال الكندى والفارابى ثم ابن خلدون ، كما أثارها فى أواخر القرن التاسع عشر رجال الإصلاح الدينى والسياسى أمثال الكواكبى والأفغانى ، وبعدهم جاء ابن باديس فى تفسيره ومقالاته ليحدد أسس قيام هذه الدولة وعوامل بناء الحضارات وأسباب إنهيارها ، كما حدد الأطر السياسية والجغرافية والسكانيه للدولة العربية الموحدة وأثر المقومات اللغوية والدينية والقومية فى تفاعل هذه الأطر وتكوين الإطار المرجعى العام لهذه الدولة .

وبرغم الملامح المثالية فى التصور الباديسى والأمل الواعد فى تحقيق هذه الدولة ، فقد حاول فى واقعية تقديم تصور لما ينبغى أن يكون عليه المجتمع العربى بالفعل ، مؤكدا على أن فى إستقراء التاريخ والواقع بامكاناته ومتغيراته دليل على إمكان تحقق هذه الدولة التى تحكمها مجموعة من الأسس والأطر الأخلاقية والدينية والإجتماعية والجغرافية الواحدة وهى :

١- **الإطار الخلقى** : ويتمثل فى ضرورة الإلتزام بالقانون الذى يساوى ويؤاخى بين الجميع فى كل شىء فى إطار عام من الحق والعدالة ، وفى الثواب والعقاب وفى العمل والتفكير ، وحتى فى مجال التضحية من أجل بناء وبقاء الدولة ووحدتها وحمايتها . وقد عبر عن ذلك ابن باديس بقوله : الحياة تشترى بالأرواح والأبدان ذلك هو الثمن ، ومن دفع الثمن فمن الحق والعدل أن يأخذ الثمن ، وعلى مبدأ الحق والعدل يكون حق الأفراد فى التمثيل البرلمانى وفى جميع المجالس

الإقليمية وتوحيد النيابه البرلمانية والمشاركة فى الإنتخاب وحرية التعبير والمساواة فى كل شىء بما فيها الحقوق المدنية والسياسية ، وهكذا تكون المؤاخاة الحقيقية والتى لا تكون إلا عندما يشعر الأنسان بأنه لا مغموط الحق ولا مهضوم الجانب من صاحبه.(١)

٢- **الإطار الجغرافى والسكانى** : ويتمثل فى الموقع المحدد وعدد السكان الذى يتلاءم مع هذه الأرض . وقد حدده ابن باديس بالمساحة التى تمتد من المحيط الأطلسى غربا إلى الخليج العربى شرقا . أما مكونات هذه الدولة البشرية فتتألف من مجموع الأفراد المؤمنين على اختلاف طبقاتهم وحسب قدراتهم ومسئولياتهم لأن الكل مسئول ومشارك فى هذا البناء على حد سواء .

ويصف ابن باديس التفاعل السكانى فى هذه الدولة بقوله : فالجليل والكبير له مكانه ، والصغير والحقير له مكانه ، وعلى كل مواطن أن يسد الثغرة التى من ناحيته مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنيان التى لا غناء لها عنه ، كما لا غناء له عن كل واحد منها ، فكل واحد من المؤمنين عليه تبعة بمقدار المركز الذى هو فيه والقدرة التى عنده ولا يجوز لأحد وإن كان أحقر حقير أن يخل بواجبه فى ناحيته ، فإنه إذا أزيل حجر صغير من بنيان كبير دخل فيه الخلل بمقدار ما أزيل ، وإذا إبتدأ الخلل من الصغير تطرق للكبير .(٢)

٣- **الإطار الإجتماعى** : ويتمثل فى الإلتزام بالمساواة والوحدة وعدم التمايز الطبقى أو الفردى ، إذ لا فضل لفرد على آخر ولا لطبقة على أخرى استجابة لقوله تعالى " إنما المؤمنون إخوة "(٣) وقوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى "(٤)

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره . حـ ٣ ص ٣٢٥ - ٣٢٨ .
(٢) راجع تفسير ابن باديس لسورة النمل ، وفى أثار ابن باديس حـ ٢ ص ١٥٦ .
(٣) الحجرات : ١٠ .
(٤) المائدة : ٢ .

ولقول النبى ﷺ : " لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ". ولهذا فالدولة الموحدة هى دولة الجميع دون تمييز فردى أو طبقى فالكل مسئول وله دوره وشخصيته المؤثرة والفاعلة ، ومن ثم فالدولة هى دولة الجميع والكل مسئول ومشارك .

وهنا يمكن ملاحظة الفروق الجوهرية بين التصور الباديسى للدولة بوصفه التصور الإسلامى والإنسانى الصحيح وبين ما قدمه أصحاب التصورات المادية أو الإشتراكية الذين اتخذوا من فكرة التميز والصراع الطبقى أساسا لبناء الدولة وتكون المعيار الإجتماعى على اعتبار أن أفكار الإنسان وعواطفه وكذلك إرادته مصدرها العلاقات الإقتصادية التى تحدد مركزه الإجتماعى ومقدار مسئوليته ومن ثم فلا استقلال حقيقى للفرد ولا إلتزام بواجب دينى أو أخلاقى تجاه الدولة .

أما ابن باديس فيؤسس الإطار الإجتماعى للدولة على أساس التعاون والمشاركة وإلغاء التمايز الطبقى ليكون كل فرد مستقل ومسئول وله دوره وعمله من أجل الصالح العام . لأن الفرد وكذلك الجماعة عليهم مسئولية العمل فى إطار النظام العام للدولة وفى حدود الواجبات الشرعية والخلقية ، وكل حسب قدرته وطاقته ، لأن الدولة الموجدة فى حاجة دائمة للعمل والنظام والإنتاج وهذا ما يؤكده ابن باديس بقوله : إن الدولة العربية الواحدة لابد أن يكون قوامها العمل والإنتاج والنظام ، وأن تكون كل مدينة من مدنها هى مدينة الشعب العامل ، إذ العمل طريق التغيير والإنتاج وبه يكون التطور والبناء والنهضة وفق الشعار الدائم ، فاعمل وداوم على العمل ، وحافظ على النظام ، فالعمل ما هو إلا خطوة ووثبة وراءها خطوات ووثبات وبعدها إما الحياة وأما الممات .(١)

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٣ ص ٣٣٢ .

٤- **الإطار الديني** : ويتمثل فى الإلتزام بالواجبات والتكاليف وبما فى الدين من نصح وإرشاد وعلم وبصيرة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

ولكى يصبح الدين من أهم أسس بناء الدولة الموحدة دعا ابن باديس إلى :

أ - ضرورة التمسك بالإسلام الذاتى ، أى الإسلام على حقيقته الذى يقوم على الفهم والإدراك للعقائد والأخلاق والآداب الإسلامية والأعمال ، شريطة أن يبنى ذلك كله على الفكر والنظر ليحيا حياة فكر وإيمان وعمل .(١)

ب- ضرورة الإلتزام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأن الأمة التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتضرب على يد سفهائها وأهل الفساد منها وتهجرهم وتنبذهم من مجتمعها تسلم من الشرور والبلايا وتقل أو تنعدم منها المفاسد والمنكرات ، أما الأمة التى تسكت عن سفهائها وأهل الشر من كبرائها وتدعهم يتجاهرون فيها بالفواحش والقبائح هى أمة هالكة متحملة جريرة المجاهرة بالمعاصى .(٢)

جـ- ضرورة التمسك بتعاليم الدين الداعية الى العلم والثقافة والأدب لأن هذه التعاليم بمثابة الغذاء الذى يحتاجه الجسم ، فكما أن الأبدان تحتاج إلى الغذاء كذلك الدول فى حاجة إلى غذاء من الأدب والرقى والعلم الصحيح ، ولا يستقيم سلوك أمة وتنقطع الرزيلة من طبقاتها وتنتشر الفضيلة بينهم إلا إذا تغذت عقول أبنائها بهذا الغذاء النفيس . (٣)

د - ضرورة الإنتباه إلى ما فى الدين من قوة عظيمة لا يستهان بها وقوة معنوية نلتجىء إليها فى تهذيب أخلاقنا وقتل روح الإغارة والفساد والجرائم فينا ،

---

(١) ابن باديس وعروبة الجزائر . تأليف محمد الميلى ص ٦٠ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره . الجزء الثانى وفى الشهاب م ١١ ص ٢٩٣ .

(٣) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٣ ص ٢٧٩ .

ودور كبير فى تسيير أمور الدولة وسياستها ، ومن ثم فالدولة التى تتجاهل رأى الشعب تسىء فى سياسته وتجلب عليه وعليها الأضرار والأتعاب والفتن . (١)

٥- **الإطار السياسى** : وهو ما يسميه ابن باديس بالسياسة الحكمية أى السياسة المؤسسة على العلم والدين .

ويشرح ابن باديس مفهوم السياسة الحكمية التى تقوم عليها الدولة وعمادها العلم والدين فيقول : إن العلم هو وسيلة المعرفة لحقيقة الأوضاع سياسية والإجتماعية فى الدولة ، وهو السبيل ليعرف العرب والمسلمون أنهم المتسببون فيما هم فيه ، ووجب عليهم ألا يحملون مسئولية ذلك إلى غيرهم أو إلى الأقدار ، فهناك أسباب لكل شىء ، وهذه السببية يتم معرفتها بالعلم .. فالسياسة الحكمية تأكيد على أن العلم وكذلك الدين لا ينهض حق النهوض إلا إذ نهضت السياسة بحق ، وعلى ذلك وجب على الدولة أن تلتزم فى سياستها بقوانين العلم وحدود الإيمان معا ، وأن العلم فى هذه الدولة مهمته خلق الوعى وتنبيه الأذهان إلى المشكلات التى تعترض كلا من الدولة والأفراد وكيفية حل هذه المشكلات . كما أن على العلم تقع مسئولية توجيه السياسة لهذه الدولة .(٢)

والسياسة الحكيمة عند ابن باديس تعتمد على أسس وأهداف ثلاثة هى التعاون على الخير ثم السعى لتحقيق السعادة ، ثم نشر السلام وذلك لأن الدولة العربية الإسلامية الموحدة هى دولة إنسانية ودينها هو دين الإنسانية العام الذى لم ينزل للعرب وحدهم بل نزل لبنى الإنسان كافة لقوله تعالى : وما أرسلناك إلا كافة للناس "(٣) وقوله تعالى : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "(٤)

---

(١) نفس المرجع .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٢ ص ٨٨ ، جـ ٣ ص ٥٦٥ .

(٣) سبأ : ٢٨ .

(٤) الأنبياء : ١٠٧ .

ومن أجل تطبيق هذا المبدأ عمليا كان لابن باديس موقفه العملى المتمثل فى:

أ - أصر على وجود العلماء فى المجالس النيابية اعتقادا منه بأن السياسة ستكون فى نظر هؤلاء العلماء المشاركين هى التفكير والعمل والوطنية .

ب- ضرورة أخذ العلم عن كل أمة وبأى لسان واقتباس كل ما هو مفيد مما عند غيرنا ومد اليد إلى كل من يريد التعاون على الخير والسعادة والسلام.(١)

جـ- رفض ما دعا إليه الإمام محمد عبده من ضرورة فصل الدين عن الدولة والسياسة على اعتبار أن السياسة ما دخلت شيئا إلا أفسدته ودليل ذلك الأضرار التى لحقت بالعقائد الدينية حين تغلغلت فيها الأهواء السياسية فأورثت شقاقا وخلافا أما ابن باديس فقد رفض هذا الفصل وأصر على اشتراك السياسة مع الدين فى بناء الدولة الموحدة وخاصة إذا كان هذا الاشتراك بأسلوب علمى يوقظ الوعى ويحرك الهمم والعزائم ، ويحقق للأمة النهضة ويساعدها فى التغلب على العقبات وفى مقدمتها عوامل التفريق من الداخل والخارج .(٢)

د- ضرورة أن تؤسس السياسة على العلم ، لأن السياسة بلا علم هى مجرد فكر نظرى لا يفيد ، وأن السياسة مع العلم تكون كالتربية والتعليم وسيلة إصلاحية فعالة .

وأن العلم الذى يوجه السياسة والأمة هو العلم بالسنن والأسباب ، إنه العلم الذى يبنى الأمم ويكون الحضارات ، وبه يجعل الله من الأمة الضعيفة أمة قوية عندما تأخذ بأسباب العلم والمدنية ، وتضعف الأمة عندما تبتعد عن تلك

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٤ ص ٢٣٠ وفى الشهاب جـ ٨ ص ٢٤٤ .

(٢) د. محمد عمارة : ملف الطليعة العدد ١١ ص ٨٦ ، وفى آثار ابن باديس جـ ٣ ص ٣٥٩.

الأسباب. ويؤكد ابن باديس أن تلك سنة كونية ثابتة وأن من سنن الله فى كونه أن يعلم هذا العالم الإنسان مالم يكن يعلم كاخراج الضد من الضد وإخراج الحى من الميت وإنقاذ الأمة الضعيفة التى لا تملك شيئا من وسائل القوة الروحية ولا من وسائل القوة المادية فتلك سنة ثابتة ولا تختلف باختلاف الأمم ولا تتبدل على الأجيال.(١)

ثانيا : خصائص الدولة العربية الموحدة :

يرى ابن باديس أن هذه الدولة موجودة ومتميزة ولها خصائص وسمات تنفرد بها فى لغتها وعاداتها وعقيدتها وإتصالها ومحافظتها على تراثها وترابطها ، وهى أمة يتصل حاضرها بماضيها العربى العريق ، وهى أمة متحررة ومتميزة .

وقد حدد ابن باديس تلك المميزات والخصائص وكيفية المحافظة عليها فى مقال بمجلة الشهاب جاء فيه : إن من الطبيعة العربية الخالصة أنها لا تخضع للأجنبى فى شيء لا فى لغتها ولا فى شيء من مقوماتها ، ولذلك نرى القرآن الكريم يذكرها بالشرف ليفهم العرب السر والحكمة فى اختيار الله لهم للنهوض بهذه الرسالة لإنقاذ العالم مما كان فيه من شر وباطل ، وأن تظهر دين الله على الدين كله ، وأن هذه الدولة غير متعصبة لأن قوامها الوحدة والإعتصام والوطنية الإسلامية التى تمزج بين العروبة والإسلام ولا تنكر الوطنيات الأخرى ، ولا تتنكر للدائرة الإنسانية الأكبر إذ الوطنية الإسلامية العادلة هى التى تحافظ على الأسرة بجميع مكوناتها وعلى الأمة بجميع مقوماتها وتحترم الإنسانية فى جميع أجناسها.(٢)*

---

(١) عبدالرحمن الرافعى : جمال الدين الأفغانى ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) ابن باديس : مجلة الشهاب جـ ٧ م ١٣ عام ١٩٣٧ ص ١٤١ .

* يمكن عقد العديد من المقارنات بين آراء ابن باديس فى الدولة والقومية وآراء فلاسفة الإسلام الأوائل وخاصة الفارابى وابن سينا وآرائهم فى المدنية الفاضلة والرجل الحكيم العادل . راجع الرسالة الأصلية ص ٣٣٠ - ٣٣٩ .

ويضيف ابن باديس إلى هـذه الخصـائص القومية والوطنيـة عـدة خصـائص أخلاقية وعلمية واجتماعية ويؤيدها بأدلة عقلية ونقلية ، ومن هذه الخصائص :

أ - **أنها دولة فاضلة** : لأنهـا تقـوم علـى فضـائل الأخـلاق الدينيـة ومنهـا التعاون والتفاهم والعدل والإحسان . وأن هذه الدولة الفاضلة هى النموذج العـالى للدولة العربية الإسلامية عندما تحاكى الأصـول التـى نفذهـا الخلفـاء الأوائـل وفـى مقدمتهم أبو بكر الصديق ، وأن هذا النموذج لم تستطع الكثير من الدول الحديثـة أن تصل إلى مستواها ، أو تتمكن من تنفيذ نموذجها لأن الأحكام التى سار عليهـا أبو بكر لم تكن من تفكيره الخـاص أو اجتهـاده الشـخصى فحسـب ، بـل كـان يستمد أحكامه من أصول الدين وكان يخاطب رعاياه بما علموه من أصـول الديـن وأوامر الله الحكيم الخبير ، وهى الأصول التى لا نجاه للعالم اليوم إلا بها .(١)

ب- **أنها دولـة تعـاون ومشـاركة** : وأن بهـذا التعـاون بـين الجميـع سـواء حاكمين أو محكومين يتم تبادل المنافع والخدمات وتنمو قدرات الإنسـان ويتحقـق التوافق والكثير من المصالح . ويشير ابن باديس إلى أهمية هذه الخاصية من الناحيـة الإجتماعية والخلقية بقوله : إنه بتطبيق أخلاق الدين فى التعاون والمشاركة سيكون إصلاح حالهم ومآلهم ويتم تنوير عقولهم وتزكية نفوسهم ، وتصحيـح عقـائدهم وتقوم أعمالهم وتكمل الإنسانية وينظـم الإجتمـاع ويشـيد العمـران ويقـام ميـزان العدل وينتشر الإحسان .(٢)

جـ- **أنها دولة علم ومدنيـة** : لأن العلـم هـو أسـاس قيـام الـدول وأصـل بقائها، وأن بالعلم تتقدم الدول ويستمر تقدمها باستمرار العلم وتطور المعرفة كمـا تنحط الدول بانحطاط العلم .. ودليل ابن باديس على ذلك أنه كلما يتطـور العلـم

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره : جـ ٣ ص ٢٨٢ -٢٨٨ ، جـ ٤ ص ١٥٢ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٣ ص ٣٤٢ ، جـ ٤ ص ٦٠ -٦١ .

تتقدم الدولة بتطور مكتشفات العلم . وأن المكتشفات عندما تضم الى المعلومات فتكثر المعلومات ويكثر ما يتبعها من المكتشفات على كثرة نسبتها ، ويكون كل قرن مادام التفكير مستمرا أكثر معلومات ومكتشفات من الذى قبله . وأن هذه المعلومات إذا لم تتقن بالنظر ذالت من الحافظة شيئا فشيئا وعلى ذلك يقل العلم وينتشر الجهل والفوضى بجميع أنواعها وهذا هو طور إنحطاط الأمم الإنحطاط العام فتتخذ رؤساء جهالا لأمور دينها ودنياها فيتعهدونها بغير علم فيضلون ويضلون ويفسدون ولا يصلحون .(١)

ويستشهد ابن باديس على أهمية العلم والمدنية فى بناء الدولة والحضارة بأدلة تاريخية من القرآن الكريم وهى تلك الدول والحضارات التى أقامها العرب من قديم مثل أمة عاد وثمود وسبأ التى كانت باليمن ويرى أن فى قيام هذه الدول وتطورها ونهضتها ثم إنحطاطها وإندثارها لعبرة بالغة ، ففى أخذها باسباب العلم والمدنية والإيمان وصدق الإعتقاد كان نجاحها ونجاتها من العذاب ، وعندما بعدت عن أسباب العلم والإيمان واقترفت الكفر والشرك كان هلاكها . وهذا ما يثبته القرآن فى غير ما آية منها قوله تعالى :"وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا".(٢) وقوله تعالى : إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين " .(٣)

فتلك أدلة نقلية وعقلية تؤكد أثر الإيمان والأخذ بالأسباب وأن فى استقامة الإنسان نجاحه وفى فساده هلاكه .

وقد تعرض ابن باديس بتفصيل هذه الأدلة فى تفسيره وفى محاضرته التى ألقاها بنادى الترقى بالعاصمة الجزائرية فى إبريل ١٩٣٩ .

---

(١) ابن باديس : تفسير ابن باديس فى مجالس التذكير ص ٦٥٧ - ٦٦١ .
(٢) الكهف : ٥٩ .
(٣) يونس : ٩٨ .

وجاء فيها قوله : قد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقا وقدراً بمشيته وحكمته لنهتدى بالأسباب إلى مسبباتها ونتجنبها باجتناب أسبابها ، فإن بطلان السبب تقتضى بطلان المسبب ولذا فإن الأمة التى أقلعت عن سبب العذاب ارتفع عنها كما فى قوله تعالى : إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ".(١)

وكما فى قوله تعالى : " فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها " .(٢)

وكما فى قوله تعالى : " لو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ".(٣)

فالإيمان والتقوى هما العلاج الوحيد من حالتنا هذه لأننا إذا التزمناهما نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب ".(٤)

ثالثا : وظائف الدولة العربية الموحدة :

إذا رجعنا إلى التفسير الباديسى المسمى فى مجالس التذكير ، وتفسيره للأحاديث فى هدى النبوة ومقالاته فى العروبة والوطنية نراه يحدد وظائف الدولة العربية الموحدة والأهداف العامة للدولة من حفظ للنظام وتحقيق للحرية والعدالة والإستقلال وحفظ للأموال وتحقيق للأمن والأمان وتنمية للقوى الإبتكارية للفرد وتحقيق للتقدم والحضارة ..

ويمكن تفصيل هذه الوظائف كالتالى :

١- إمتلاك وسائل القوة لتحقيق العدل : لأن تحقيق العدل والسيادةُ لا يكون إلا بامتلاك القوة ووسائلها ، وأن هذه القوة هى قوام الحضارة وهى لازمة لتأسيس الدولة الموحدة وحفظ نظامها .

---

(١) يونس : ٩٨ .
(٢) يونس : ٩٨ .
(٣) الأعراف : ٩٦ .
(٤) ابن باديس : تفسير مجالس التذكير ص ١٩٥ .

ويرى ابن باديس أن وظيفة القوة هى إقامة الحق والقصاص العادل وتحقيق دعوة الإصلاح وإثارة معانى العزة والشرف فى النفوس .

وفى ذلك يقول : لابد لكل أمة تسود وتقوى من بطش ولكن البطش فيه ما هو حق بأن يكون إنتصافا وقصاصا وإقامة لقسطاس العدل بين الناس ، وفيه ما هو بطش الجبارين المنهى عنه ..

وقد دعت الآيات والأحاديث العديدة إلى إمتلاك وسائل القوة والسيادة لبناء الدولة القوية التى ستمتلك البحار وتغزو الأمصار الكبار ، وينبه القرآن والحديث إلى ذلك لتعد الأمة لهذا الهدف وتأخذ له طريقه ولتتوصل إليه بأسبابه إذ لا يكون مُلك إلا بأسباب الملك ولا تكون قوة إلا باسباب السيادة .(١)

٢- السعى لتحقيق الأمن والسلام الإجتماعى . ففى ظل الأمن تكون الحياة المطمئنة للجميع ، فلا يخاف الفرد حاضرا أو مستقبلا وأنه فى ظل هذا الأمان الذى توفره الدولة القوية يتحقق الابتكار المنتج بخلق الفرص التى تكفل ممارسة تطبيق هذا الابتكار بما يعود على المجتمع بالنفع .(٢)

ولتحقيق ذلك لابد من السعى لامتلاك وسائل السيادة ، وتشجيع الابتكار الفردى والجماعى ، وتحقيق ما يسمى بالرقابة المركزية فى إطار عام محدد هو العنصر الدينى ، لأن الإيمان بوصفه أهم عناصر قوة الدولة هو سياج الأمان والشكر والفضيلة والعدل .. والدولة بدون هذه الوسائل وتوفيرها هى مجتمع فوضوى ، وكل مدنية لم تحصن بهؤلاء فمصيرها الخراب .(٣)

---

(١) ابن باديس : التفسير فى مجالس التذكير ص ٦٥٨ - ٦٥٩ وابن باديس : من هدى النبوة ص ١٠٠ - ١٠١ .

(١) ابن باديس : من هدى النبوة ص ١٠٠ -١٠١ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٤ ص ٦٨ -٧٤ .

٣- حفظ الأموال باحترام الملكية : فتلك وظيفة الدولة التى أشار إليها القرآن فى آيات عديدة وفى قوله تعالى : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ، وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا .(١)

ففى ذلك إشارة إلى أهمية المجافظة على المال كملكية خاصة وعامل من عوامل البناء والقوة للفرد والدولة ، وهو داخل فى نسيج القوى الأخرى اللازمة لتنفيذ الأعمال كالقوة الذاتية والقوة الدينية والقوة العقلية وغيرها.

٤- المحافظة على التراث ومكوناته : وذلك عن طريق احترام الآراء وحرية النظر والتفكير ونشره وتنقيته من الشوائب ومحاربة ظواهر الكفر والجهل والإلحاد ، ونشر مبادىء الدين الصحيح ومقاومة أصحاب البدع الخارجة وأهل الفساد .

ويمكن الرجوع للجزء الأول لمراجعة آراء ابن باديس ومواقفة كمصلح وفيلسوف يدعو إلى الإصلاح الشامل وإلى فلسفة جديدة تخلص المجتمع العربى من التقاليد الزائفة والأفكار البالية التى غرستها فى نفسه عهود الاستعباد والإقطاع والجهل ، ولهذا فالإنسان العربى فى حاجة ماسة إلى أفكار وتقاليد جديدة تتفق وظروفه الجديدة وليساير التقدم العلمى ، وأن ذلك لا يتعارض مع ضرورة التمسك بالتراث الإسلامى الصحيح والمحافظة عليه لأن ذلك من أهم مقومات الشخصية العربية ، فالدين بتراثه له الدور الفعال فى جمع شمل هذه الأمة ونهضتها وحتى يحيا الإنسان العربى بإسلامه الذاتى والوراثى وما به من أحكام وعقائد وقيم وأخلاق يحيا حياة فكر وإيمان وعمل .(٢)

---

(١) الإسراء : ٣٥ - ٣٦ .

(٢) محمد الميلى : ابن باديس وعروبة الجزائر ص ٦٠ .

٥- السعى لتحقيق الحرية والإستقلال والمحافظة عليهما . لأن الوجود الحقيقى للدولة لا يكون إلا بحريتها واستقلالها والمحافظة عليها ومقاومة أعدائها .

ولكى تتحقق هذه الوظيفة فى الدولة العربية الموحدة رأى ابن باديس ضرورة تحرر واستقلال جميع الشعوب العربية ، وأن تقاوم الدول العربية كل مستعمر وكل عامل من عوامل التخلف والجهل والرجعية . لأن الشعب الحر هو مصدر القوة الدائمة والمحرك الطبيعى لكل إصلاح وأن الحرية والاستقلال شرط كل تقدم وكل بناء ، وهى الشرط الضرورى لإتمام الإتحاد بين أى قطر عربى وآخر إلى جانب عوامل الوحدة الأدبية والإجتماعية ، وهى شرط ضرورى لقيام الدولة ونجاح سياستها ، لأن السياسة الدولية هى من شأن الأمم المستقلة ، وأن الحرية والاستقلال لا يكونا إلا من خلال موقف سياسى يتمكن من حل العديد من المشكلات ويواجه كل القوى التى تحد من حرية الفرد والمجموع .(١)

ولأن هذه الحرية وظيفة وغاية ووسيلة كان موقف ابن باديس العملى من أجل حرية وطنه واستقلاله ، ورفضه لدعوات الاندماج والفرنسة والاستسلام ، ودعوته إلى جميع أشكال الحرية فكانت دعوته لحرية الدين والتعليم وحرية الصحافة، كما كانت دعوته إلى تحرير فلسطين ومساعدة اللاجئين ورفض التقسيم لذلك القطر العربى الشقيق الذى ضمنت له العهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله ، مقررا أن ذلك التقسيم هو اعتداء على جميع الشعوب العربية والإسلامية ، وأن بناء الدولة العربية الموحدة ضرورة وأنها لو قامت لما كان هناك وجود للإستعمار فى الشرق ولما كانت هناك مشكلة فلسطين .(٢)

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٢ ص ٤١١ ، جـ ٣ ص ٢٢١ ، وفى ملف الطليعة إعداد الدكتور محمد عمارة العدد ١١ نوفمبر ١٩٧٢ ص ٨٤ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٢ ص ٤٣٤ ، وفى البصائر العدد ٣١ أغسطس ١٩٣٧.

رابعا : الدولة بين عوامل البناء والهدم :

أهتم ابن باديس فى تصوره للدولة الحديثة بإبراز عوامل البناء والهدم ، وأطوار تطور الأمم والمراحل التى تمر بها وأسباب تقدمها وعوامل انهيارها . وقد استعرض هذه الأطوار من خلال تفسيره للآيات القرآنية التى تعرضت لتطور الحياة والكون والإنسان وواقع الأمم الماضية والحاضرة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى " وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديداً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً .(١)

وفى تفسيره لهذه الآية ربط ابن باديس بين أطوار الأمم وتطورها وبين أطوار الإنسان ومراحل نموه ، مشيراً إلى العلاقة الوثيقة بين الإنسان والدولة فى حالة قوتها وضعفها ويقول : إن الأمم كالأفراد تمر عليها ثلاثة أطوار هى : طور الشباب وطور الكهولة وطور الهرم ، أما الطور الأول فيشمل نشأتها إلى استجماعها قوتها ونشاطها ، وفيه تكون مستعدة للكفاح والتقدم فى ميدان الحياة. والطور الثانى ويشمل إبتداء أخذها فى التقدم والانتشار وسعة النفوذ وقوة السلطان إلى استكمال قوتها وبلوغها ما كان لها أن تبلغه من ذلك بما كان فيها من مواهب وما كان لها من استعداد وما لديها من أسباب . أما الطور الثالث فيشمل إبتدائها فى التقهقر والإنحلال إلى أن يحل بها الفناء والإضمحلال إما بانقراضها من عالم الوجود وإما باندراسها فى عالم السيادة والإستقلال .. وهذه الأطوار الثلاثة قانون كونى عام لجميع الأمم ، فما من أمة إلا ويجرى عليها هذا القانون العام وإن إختلفت أطوارها فى الطول والقصر كما تختلف الأعمار .. وأن طور الهلاك هذا إنما يتحقق بعد إسباغ النعمة وإقامة الحجة على الأمم وتمكن

---

(١) الإسراء : ٥٩ .

الفساد فيهم وتكاثر الظلم منهم ، فإهلاكهم هو نهاية الطور الثالث من أطوار الأمم .(١)

ولتفصيل هذه الأطوار وإنعكاسها على الإنسان والمجتمع اهتم ابن باديس بتحديد عوامل قيام الدول وأسباب إنهيارها وهى :

أولا : عوامل قيام الدولة وبناء الحضارة :

١- امتلاك واستكمال وسائل البناء والتعمير ، وذلك بامتلاك وسائل القوة تمهيدا للدخول فى الطور الأول من أطوار الحضارة وهو طور المدنية ، ويؤكد ابن باديس ذلك بقوله : إن وسائل البناء والتعمير هى وسائل قيام الحضارات ، وأن أية أمة لا تعمر الأرض إلا إذا ملكت وسائل التعمير وهى كثيرة ومجموعها هو ما نسميه بالحضارة أو المدنية ، كالحضارة المادية وفنونها كالزراعة والصناعة والتجارة وما يستلزمها من علم بحال الأرض وطبائعها ، أو فى القوة البدنية التى ترى فى القدرة على النحت كما فى الحضارة الرومانية .(٢)

٢- امتلاك وسائل العلم والتعليم ، لأن العلم فى مقدمة القوى البناءة فى صرح الحضارة والمدنية وهو قوة ناتجه عن إندماج القوة الروحية والإيمان والفكر الواضح السليم ، وهذا العلم هو الذى يحصن المدنية تماما مثل عروق البدن ، ومن ثم تكون العلوم كعوامل بناء الجسم الإنسانى ، والتى تظهر إنعكاستها فى صلاح النفس الإنسانية وتحسين الأوضاع الإجتماعية ..

ويصف ابن باديس كيفية إمتلاك هذه الوسائل وأثرها فى النهضة والحضارة حين يقول : إن بناء الحضارة لا يتم بالفكر اليدوى وحده بل بالعمل اليدوى الذى يتوقف على علوم كثيرة كالهندسة ، والهندسة تتوقف ثمرتها على علوم أخرى

---

(١) ابن باديس : تفسير ابن باديس فى مجالس التذكير ص ١٨٩ ، ١٩١ ، ٦٦١ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٤ ص ٧٠ - ٧٣ .

كثيرة . وعلوم العمران كعروق البدن يمد بعضها بعضا فهى مترابطة متماسكة متلاحمة .(١)

٣- الإلتزام بسياسة امتلاك القلوب وتنوير العقول ووحدتها . فذلك السبيل لتوحيد وتقوية العناصر المكونة لبناء الدولة سواء كانت معنوية أو مادية . ويبين ابن باديس أثر هذا العامل فى بناء الدولة والحضارة وكيفية توجيهه نحو الحق والخير والرحمة والعدل فيقول : إن الله قد جعل إتفاق الرأى فى المصلحة العامة والإتصال بصلة الألفة فى المنافع الكلية سببا للقوة وإستكمال لوازم الراحة والتمكن من الوصول لخير الإنسانية ، وأن حرية الفرد لازمة له لممارسة حقوقه فى العمل والإنتاج وتكوين العلاقات وإحداث الإنسجام المطلوب للوحدة الوطنية ، ولأن حرية الأفراد وإجتماعهم ووحدتهم تشكل واحدة من أسباب قوة الدولة التى بها يكون التمكن والبقاء ثم الإستمرار، وهى غير الحقوق المادية الألية التى يكون فيها البطش والتى لايدوم لها سلطان .(٢)

٤- امتلاك وسائل الإعداد والإستعداد للقوة ، من أجل الدفاع وتطبيق الأحكام ، وفى مقدمة هذه الوسائل الإلتزام بالقانون ، على إعتبار أن قوة القانون من القوى التى يجب على الدولة إمتلاكها لأنها من أهم وسائل حفظ الدولة وبقائها وإستقرارها .

ويرى ابن باديس أن القانون للدولة التى تريد بناء حضارتها بمثابة العقل الذى لا تغله التقاليد ولا تقيده حماقة النفس البشرية ، ويكون له دوره الفاعل والمؤثر عند الإلتزام به وتطبيقه ، وبه يحدث الإنسجام ويتحقق الإستقرار والعدالة ويؤثر أثره فى الفرد والجماعة ، إذ القانون هو القوة العادلة التى يكون بها تنظيم

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٣ ص ٣٧٥ .

(٢) ابن باديس : التفسير فى مجالس التذكير ص ٦٦١ - ٦٦٨ .

الصفوف ورفع الظلم وإصلاح نظام الحكم ومحاربة الفساد والإسراف لا بقوة الجبارين بل بقوة العقل والعلم والقانون .(١)

٥- الإلتزام بعوامل الوحدة والإعتصام ونبذ عوامل التحزب والتعصب لأن القوة مع الإتحاد والضعف مع التشتت والإنقسام ، ومن عوامل الوحدة التى بينها ابن باديس : التمسك بما فى الدين من نصح وإرشاد وعلم وبصيره ودعوة إلى الإعتصام والإتحاد ، وضرورة التمسك بدوافع القومية والشخصية ، والحفاظ على مقومات الشعب البناءة كالجنسية ووحدة اللغة والدم والمصير ووحدة العقيدة ، وغيرها من المقومات التى ينشأ عنها الشعور المشترك بين الفرد وبين من يشاركه فى هذه المقومات والمميزات .

وأن الإلتزام بهذه العوامل والمقومات من الواجبات التى أمرنا بها كما فى قوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .(٢)

وقوله تعالى : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .(٣)

وقوله تعالى : فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول .(٤)

ويؤكد ابن باديس على أن تلك عوامل القوة والوحدة والإعتصام والتى بها تطرح جميع المفرقات بين المذاهب والمشارب ، ويترسخ الإعتقاد بأن الإتحاد واجب محتم على جميع المؤمنين لأن فيه القوة والحياة وفى تركه الضعف والممات .(٥)

٦- السعى لتحقيق الوحدة الفكرية وتعميق أسس الأخوة والكمال الإنسانى . وفى هذا الإطار كانت دعوة ابن باديس إلى الحفاظ على مقومات

---

(١) راجع تفسير ابن باديس لقوله تعالى : واعدو لهم ما إستطعتم من قوة " فى سورة الأنفال وفى جـ ٤ من حياته وآثاره ص ٦٩ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) الأنفال : ٤٦ .

(٤) النساء : ٥٩ .

(٥) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٢ ص ١٥٧ ، جـ ٤ ص ٦٩ .

الشخصية الوطنية ، وضرورة تمسك الشعب الجزائرى والعربى بقوميته وعروبته ودياته ، ورفض كل رأى أو مذهب يضر ولا يتفق مع عروبته ودياته ، مؤكدا على أن المؤمنين باتحادهم فى دولة واحدة تكون لهم قوة ، وكل واحد فيهم بمفرده يمكن قهره أما مع إتحادهم فإنهم يكونون باتحادهم فى مأمن من كل قهر ، وأن التمسك بمقومات الوحدة الفكرية والقومية فى الأمة من الأشياء الغريزية ، وأن المحافظة عليها والإعتزاز بها مما جبل عليه الناس كما جبلوا على حب البقاء ، ولكن قد يطرأ على بعضهم سوء ظن فيهما نتيجة لجهل أو ضعف فيتخلى عنهما فيكون ذلك التخلى نذير الفناء .(١)

٧- تحقيق البناء الإجتماعى السليم : وهو الذى يبدأ من الأسرة المتماسكة السليمة واتحاد عنصرى الأمة وتعاونهما وهما الرجل والمرأة ، وتحقيق الوحدة والوئام الإجتماعى فى ظل الإرتباط برباط الجنسية السياسية أو ظروف المصلحة المشتركة بين الشعوب العربية وإستجابة لدعوة التعاون والمشاركة فى الحديث النبوى : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . فعلى البناء الإجتماعى السليم وتعاون الرجل والمرأة تقوم الحياة ويتوقف العمران .

٨- تدعيم اللغة المشتركة بين عناصر الأمة وشعوبها ، لأن اللغة من أهم عوامل وحدة الدولة وقوتها ، ويدلل ابن باديس على صدق ذلك بعدة أدلة عقلية ونقلية منها :

أ - إن الدولة يمكن أن تقوم رغم اختلاف أجناس وأعراق مواطنيها أما إذا كانت هناك لغة مشتركة واحدة فهناك إذن دولة واحدة .

---

(١) راجع : الجزء الأول من هذا الكتاب " فلسفة ابن باديس النظرية وما ذكره مالك بن نبى عن أثر ابن باديس فى بث الروح القومية والوطنية فى الشعب . وراجع كذلك : ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٤ ص ٢٤٨ ، جـ ٦ ص ١٠٦ .

ب- أنه لا تكاد تخلص أمة من الأمم لعرق واحد ، وتكاد لا تكون أمه من الأمم لا تتكلم بلسان واحد ، فليس الذى يكون الأمة ويربط أجزائها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة وإنما الذى يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد .

جـ- أن اللغة الواحدة لها أثرها الفعال فى بناء الدولة ووحدتها لأنها العامل الأول فى توحيد العقول والقلوب والرابطة القوية لجميع الأفراد .

د - أن هناك فرق كبير بين عامل الدم وعامل اللغة فى توحيد الأمم بدليل نقلى هو قول النبى ﷺ : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى .. ودليل عقلى هو : إنك إذا وضعت أخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان ، وشاهدت مابينهما من إختلاف نظر وتباين قصد وتباعد تفكير ، ثم وضعت شاميا وجزائريا ينطقان باللسان العربى ، لرأيت ما بينهما من إتحاد وتقارب فى ذلك كله .. لو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة فى توحيد الأمم ، فاللغة إذن هى الأصل فى الإتحاد وإيجاد الوحدة الوطنية التى تكون عندما يكون الوطن متحدا غاية الإتحاد ممتزجا غاية الإمتزاج ، ولا يمكن الإفتراق بعد إمتزاج واتحاد الفؤاد واللسان .(١)

هـ- أن الدولة الموحدة بناء متكامل فيه يتحول الأفراد إلى إنسان واحد وتتحول الشعوب إلى شعب واحد لامتزاج العقل والقلب والروح ، وليس تكون الأمة متوقف على إتحاد دمها ولكنه متوقف على إتحاد قلبها وروحها وعقولها

---

(١) يمكن ملاحظة مدى تأثر ابن باديس بآراء من سبقه من زعماء الإصلاح وخاصة جمال الدين الأفغانى حول عوامل البناء والوحدة فى الدولة العربية . راجع فى ذلك : الأفغانى: عبد الرحمن الرافعى ص ١٠١ ، وابن باديس وعروبة الجزائر تأليف محمد الميلى ص٨٠. وابن باديس : حياته وآثاره جـ ٣ ص ٣٤٨ - ٣٥٢ .

إتحاداً يظهر فى وحدة اللسان وآدابه واشتراك الآلام والآمال ، وعلى هذه الوحدة الأدبية يجب أن تؤسس الدولة العربية كما تأسست منذ فجر التاريخ ، فاللغة العربية التى ننطق بها ونتغذى من تاريخها ونحمل مقداراً عظيماً من دمها وقد صهرتها القرون فى بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة تميزها وحدة اللغة والدم والتفاعل من خلال التاريخ .(١)

ثانيا : عوامل ضعف الدولة وإنهيار الحضارة :

أرجع ابن باديس ضعف الدولة العربية وعقبات تطورها واتحادها إلى عدة عوامل سياسية واجتماعية وأخلاقية أدت إلى ضعفها وسهلت للدول القوية إحتلالها ، وهو يصف هذه الأسباب العامة بقوله : راينا كما يرى كل مبصر ما نحن فيه معشر المسلمين من إنحطاط فى الخلق وفساد فى العقيدة وجمود فى الفكر وقعود عن العمل وإنحلال فى الوحدة وتعاكس فى الوجهة وافتراق فى السير حتى خارت النفوس القوية وفترت العزائم المتقدمة وماتت الهمم الوثابة ودفنت الأمال فى صدور الرجال ، واستوى القنوط القاتل واليأس المميت فاحاطت بنا الويلات من كل جهة وانصبت علينا المصائب من كل جهة .(٢)

ويضيف ابن باديس إلى هذه العوامل الشخصية والعامة مجموعة من العوامل الأخلاقية والإجتماعية والسياسية والتى كانت سببا مباشراً فى ضعف الدولة العربية والإسلامية منذ الخلافة الراشدة وحتى مطلع القرن العشرين ، وهذه العوامل هى :

١- **العوامل الأخلاقية** : ويحددها ابن باديس فى كل ما يؤدى إلى فساد الطبع وفساد النفس الإنسانية والنظر إلى المصالح الخاصة دون المصالح العامة ، وكل ما يؤدى إلى فساد الخلق وسوء السلوك .

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٤ ص ٢٠ ، ٢٣٩ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٣ ص ٢٤ ، ٧٨ ، ٢٨٠ .

ويصف ابن باديس خطر هذه العوامل على الفرد والمجموع فيقول : " إن الغرور والتكبر من أسباب الهلاك للأمة لأنه يؤدى إلى زهو أبنائها وطفرتهم والتغرير بنفوسهم فتضعف وتضعف تبعا لذلك أمته ، وليس أضر على الأمة من زهو أبنائها وطفرتهم والتغرير بنفوسهم .. والغرور والتكبر من فساد الأخلاق وذهاب حالة الصحة والاستقامة ، وعلى العموم فإن فساد الناس وهلاكهم وفساد أحوالهم يكون بفساد عقائدهم وأخلاقهم وذلك عنوان ذهابهم واضمحلالهم.(١)

وعلى عكس الغرور والتكبر فإن الشعور بالذل والمهانة يحدث نفس الأثر الضار على الفرد والمجموع لأن هذا الشعور مع تأصل الجهل من أهم عوامل الهدم لأنه يقتل الشعور بالعزة والشرف من النفوس ، والجاهل يمكن أن تعلمه والجافى يمكن أن تهذبه ولكن الذليل الذى نشأ على الذل يعسر أو يتعذر أن تغرس فى نفسه الذليلة المهينة عزة وإباء وشهامة تلحقة بالرجال .(٢)

وكما وصف ابن باديس عوامل الهدم الخلقية يصف لنا كيفية التغلب عليها فيقول : أما مواجهة ذلك فيكون بأن يحل محل الإفتراق الوفاق والتواصل ، وأن يشعر كل فرد من الأفراد بما ينفع الأمة وما يقويها وأن يهتم بمصالح الأمة ويضعها فى المكانة الأولى من الإعتبار والإهتمام ، ولابد من ترك العجب والغرور فذلك سبيل الإنسان إلى الكمال والتقدم ، لأن الإنسان بطبيعته مجبول على محبة الكمال وكراهة النقص وتلك الجبلة مما تسهل تربية النفوس وإصلاحها بالتخلص من الرذائل والتحلى بالفضائل .(٣)

---

(١) محمد الميلى : ابن باديس وعروبة الجزائر ص ٤٩ وفى آثار ابن باديس حـ ٢ ص ١٦٥ .

(٢) ابن باديس : التفسير فى مجالس التذكير ص ٦٦٦ وفى آثار ابن باديس حـ ٢ ص ١٦٥.

(٣) ابن باديس وعروبة الجزائر . تأليف محمد الميلى ص ٤٩ ، وتفسير ابن باديس فى مجالس التذكير ص ٦٦٦ .

٢- **العوامل الإجتماعية** : والتى تتمثل فى سوء التعليم وإهمال الفرد وانتشار البدع والنزعات المذهبية والطائفية وغيرها من عوامل الإفتراق والتفكك الإجتماعى .. وهى العوامل التى يصفها ابن باديس بأنها العامل القتال فى عظام الأمة ، وأن مقاومته لاتكون إلا بنشر ما يغذى العقول ويحمى الأخلاق ويقّوم فاسد العادات ويحارب البدع التى أدخلت على الدين وكانت سببا فى النزعات العصبية والعرقية وانتشار مختلف السلبيات الإجتماعية التى كان يغذيها المستعمر.(١)

ويضيف ابن باديس إلى هذه العوامل كل ما يؤدى إلى الظلم والفساد لأن انتشار الظلم فى الدولة هو سبب هلاكها المبين بدليل قوله تعالى " وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ".(٢) وقوله تعالى " وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ".(٣) وقوله تعالى : وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ".(٤)

فأفادت الأيات أن سبب الهلاك والعذاب هو الظلم والفساد والعنود والتمرد عن أمر الله ورسله والكفر بأنعم الله .(٥)

٣- **العوامل السياسية** : وقد قسمها ابن باديس إلى عوامل خارجية وأخرى داخلية ، وتمثلت العوامل الخارجية فى تعاظم التحديات الخارجية للقوى والشعوب العربية من جانب الدول الإستعمارية ومساعدتهم المستمرة للكيان الإسرائيلى وما أحدثه الإستعمار من خلافات وانقسامات داخلية ، أما العوامل

---

(١) صفحات من الجزائر ص ٨٢ وفى ابن باديس وعروبة الجزائر ٢٤٠ - ٢٤١ .
(٢) هود : ١١٧ .
(٣) القصص : ٥٩ .
(٤) الأنبياء : ١١ .
(٥) تفسير ابن باديس ص ١٩٣ -١٩٤ وفى آثار ابن باديس جـ ٤ ص ٧٣ - ٧٤ .

الداخلية التى أضعفت الأمة العربية فتتمثل فى سوء استخدام سلطة الحاكم وتردى الوضع السياسى العام نتيجة الصراع على السلطة والخلط بين أمور الدين وأمور السياسة والميل إلى استخدام وسائل غير أخلاقية لتحقيق الأغراض السياسية ، وضعف الشخصية العربية وعدم تحملُ الفرد المسئولية وكثرة الإنشقاق والإختلاف، والثقة بمن لا يوثق به والاستبداد بالرأى والإهمال فى إعداد وسائل القوة والدفاع وتفويض الأعمال لمن لا يجيد أدائها ووضع الأشياء فى غير مواضعها.

وبعد أن بين ابن باديس عوامل ضعف الدولة وانهيارها بوجه عام بدأ يحذر من خطر تلك العوامل السياسية لأنها من أخطر عوامل هدم الدولة بدلا من كونها عوامل للبناء ومشيرا إلى أخطار سوء استخدام السلطة من الحاكم واعتماده على القوة الغاشمة حين يلجأ إلى استنزال الوسائل الغير أخلاقية وما ينتج عن سوء سياسته من فساد وإباحية ، واستخدامه للقوة ظنا منه أنها للسلام والعدل فى الوقت الذى لا يعلم أنه السبب المباشر فى إنتشار المظالم ودعوة الأنانية وتفكك الأمة وظهور إختلافات الرأى والإنقسام .

وكان هذا الخطر وراء مواقف ابن باديس الحاسمة فى نبذ ومواجهة كل أنواع الصراع السياسى الهدام وخاصة أن الوضع السياسى العام فى العالم العربى هو العقبة الأكود فى سبيل تحقيق كل إصلاح أو تغيير أو بناء .(١)

---

(١) راجع فى ذلك مناهج الإصلاح التى قدمها ابن باديس فى مجال الدين والسياسة والإجتماع الرسالة الأصلية ص١٤١ - ٢٧٢ ، وما كتبه الدكتور عمار الطالبى فى آثار ابن باديس الجزء الرابع ص ٢٠٧ وما بعدها . وما كتبه الدكتور محمد عماره فى ملف الطليعة ص ٧٨ - ٨٨ وما كتبه الدكتور السيد محمد عشماوى فى مجلة الجمعية الفلسفيه المصرية العدد الأول ص ١٠٦ - ١١٧ .

obeikandl.com

الفصل الثالث

القومية العربية الإسلامية

أولا : مفهوم القومية العربية :

القومية العربية عند ابن باديس شعور عميق بالأصالة والريادة والوجود المتفاعل فى الإطار الإنسانى العام ، وهذا الشعور متكون من إحساس بالعروبة والوطنية وإعتقاد راسخ بالوحدانية وتكامل الشخصية . ولكى يوضح ابن باديس حقيقة هذا المفهوم كشعور أصيل نشأ مع نشأة الإنسان العربى ، قام باستعراض تاريخ القومية العربية منذ نشأتها الأولى وظهورها الحقيقى مع دولة الخلافة الإسلامية وكيف كان الأساس الدينى دافعا لوجودها واستمرارها حتى اليوم . وهو يرى أن هذا الشعور الأصيل كامن فى الأمة بدليل كونها لم تضعف رغم ما اعترضها من ظروف تاريخية ، بل إن هذه القومية هى التى ألفت بين قواهم وقلوبهم على مر التاريخ العربى وقبل الإسلام ودليل وجودها قديما حضارة الأمم العربية القديمة مثل عاد وثمود وسبا وغيرها ، فهى أمم كان لها حضارتها وشخصيتها ودورها العمرانى والمدنى الذى وصفه القرآن الكريم فى غير ما آية ومنها قوله تعالى : " ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد ".(١)

وقوله تعالى : أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين ".(٢)

وقوله تعالى : أتتركون فى ماهنا آمنين ، فى جنات وعيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيتوا فارهين .(٣)

---

(١) الفجر : ٦ - ١٠ .
(٢) الشعراء : ١٢٨ - ١٣٠ .
(٣) الشعراء : ١٤٧ - ١٤٩ .

فهى أمم كان لها حضارتها وشخصيتها ودورها العمرانى والمدنى لأن العماد لا تكون إلا فى القصور والأبنية والمدن المخططة ، والمصانع والزروع لا تقوم إلا مع الزراعات المتنوعة والمنظمة .. فهذه الحضارات دليل على وجود الشعور القومى الأصيل فى الأمة العربية قبل الإسلام وإن لم تستمر لضعفها وانهيارها.(١)

وبعد ظهور الإسلام تأكد هذا الشعور الأصيل بالقومية العربية ، فقد دعم الإسلام الروابط الفكرية والروحية ودعا إلى الوحدة والقومية ، تلك القومية المرتبطة باللسان العربى والدعوة إلى الإعتصام والمحبة الإنسانية والوحدة البشرية التى يعبر عنها الحديث : أيها الناس : الرب واحد والأب واحد وإن الدين واحد ، فليست العروبة بأحدكم فى أب ولا أم ولكنها اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى..

وبهذا المعنى تصبح القومية العربية عنده هى الشعور الوطنى المتكون من عدة مقومات يجب المحافظة عليها وبعثها وفى مقدمتها الإسلام والعروبة والوطنية والتأسى برسول الإنسانية الذى نهتدى بهديه ونخدم القومية العربية خدمته ونوجهها توجيهه ونحى لها ونموت عليها .(٢)

ويشير ابن باديس إلى الأثر الإيجابى للشعور الوطنى المتعاظم والمتطور بالقومية على مستوى الفرد والجماعة فيقول : لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه ، فعناية المرء بنفسه عقلا وروحا وبدنا لازمة له ليكون ذا أثر نافع فى الناس على منازلهم فى القرب أو البعد ، ومثل هذا كل شعب من شعوب البشر لا

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٣ ص ١٧٩ .

(٢) راجع مقال ابن باديس : مجلة الشهاب بعنوان : محمد رحل القومية العربية وما كتبه د. تركى رابح فى دراسة عن ابن باديس والشخصية الجزائرية بمناسبة ذكرى وفاته . مجلة الأصالة العدد الثانى عام ١٩٧١ . ص ٦٢ - ٧٢ .

يستطيع أن ينفع البشرية مادام مهملا مشتتا لا يهديه علم ولا يمتنه خلق ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوماته ولا بروابطه ، وإنما ينفع المجتمع الإنسانى ويؤثر فى سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله فأخذ الأصول الثابتة من الماضى واصلح من شأنه فى الحال ومد يده لبناء المستقبل ، فتناول من زمنه وأمم عصره ما يصلح لبنائه معرضا عما لا حاجة لديه أو مالا يناسب شكل بنائه الذى وضعه على مقتضى ذوقه ومصلحته .(١)

ولكى يثبت ابن باديس نشأة وأصالة الشعور القومى العربى وتميزه استشهد بالأدلة التاريخية التى وردت فى القرآن الكريم عن الفرق الجوهرى بين الأمتين العربية واليهودية وخصائص كل منهما ، فقد هيئت أمة إسرائيل لانقاذ نفسها فقط لأن مقوماتها النفسية لم تصل بها إلى الدرجة العليا ، وكان اختيار الله لهم وتفضيلهم على العالمين إنما لينقذوا أنفسهم من استعباد فرعون وليكونوا مظهرا للنبوة والدين فى أول أطوارهما وأضيق أدوارهما ، وكان اختيار الله للعرب للرسالة العامة إنما لما فيهم من شرف متأصل واستعداد كامل وصفات مهيأة . وكان اختيار مكة وسط الجزيرة لنشر الدعوة كمركز لغوى وقومى وبعدها المكانى عن المؤثرات الخارجية فى الطباع والألسن ، مع ملاحظة أن هذا الإختلاط والتأثر فى أحد المراحل التاريخية كان من أهم عوامل ضعف الدولة العربية والروح القومية ، بدليل أن أطراف الجزيرة لم تخل من لوثة فى الطباع وعجمة فى الألسنة جاءت من الإختلاط بالأجنبى ، فاليمن قد دخلتها الدخائل الأجنبية من الحبشة والفرس على طباع أهلها وألسنتهم ، والشام ومشارفه كانت مشرفة على الإستعجام ، والعراق والجزيرة لم يسلما من التأثر بالطباع الفارسية فكانت هذه

---

(١) محمد الميلى : ابن باديس وعروبة الجزائر ص ٥٤ - ٥٧ ، د. محمد طه الحاجرى : جوانب من الحياة العقلية والأدبية فى الجزائر ص ٨٣ .

الأطراف تنطوى على عروبة مزعزعة المقومات ولم يحافظ على الطابع العربى الصميم إلا صميم الجزيرة منه وهى مكة التى ظهر فيها الإسلام .(١)

ويمكن القول بأن المفهوم الذى قدمه ابن باديس للقومية واستوحاه من تاريخ الأمة العربية قبل وبعد الإسلام ومن تفسيره لآيات القرآن ، هو مفهوم شامل يضيف لمعنى القومية أبعادها السياسية والإجتماعية إلى جانب المشاعر الوطنية العامة المتمثلة فى الميل إلى التعاون والمشاركة فى العمل والتفكير .

وهذا المعنى الشامل للقومية يتضح من خلال تأكيد ابن باديس على عدة حقائق منها :

أ - أن القومية العربية دعوة إنسانية عامة لأن الفكر الإسلامى هو فى حقيقته دعوة إلى القومية العربية والوحدة الإسلامية .

ب- أن مفهوم القومية العربية مرتبط بالغايات الإجتماعية والخلقية وما تحققه من نهضة ورقى وفائدة عملية للإنسان العربى ، ولهذا فإن القومية العربية عند ابن باديس هى وسيلة تحقيق النهضة والرقى والقضاء على عوامل الجهل والذل والفساد والصعود بالإنسان العربى إلى درجات العز والفلاح والكرامة .

جـ- أن القومية العربية لا تتحقق إلا بالوحدة ونبذ عوامل التفرقة ، لأن القومية ليست هى العنصرية والتعصب بل هى التضامن والاتحاد بين جميع الأفراد قلبا وعقلا وروحا ولسانا ، وذلك هو سبيل تحقق أقصى درجات السعادة للإنسان العربى وسبيل تقدمه .

د- أن القومية العربية لا تنفصل عن تاريخ الأمة الإسلامية من حيث التكوين والهدف ، ويستدل ابن باديس على ذلك بقوله : كون رسول الله الإنسانية ورجل القومية العربية أمته هذا التكوين المحكم العظيم ووجهها لتقوم

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ١ ص ١٧١ ، وفى التفسير الباديس ص ٦٦٥ .

للإسلام والبشرية بذلك العمل الجليل . فلم يكونها لتستولى على الأمم ولكن لتنقذهم من سلطة المستولين بإسم الملك أو باسم الدين ، ولم يكونها لتستخدم الأمم فى مصالحها ولكن لتنهض بهم من دركات الجهل والذل والفساد إلى درجات العز والفلاح والكرامة .(١)

هـ- أن القومية العربية هى دعوة للتحضر والنهضة ونبذ كل نزعة اقليمية أو حزبية متعصبة تسىء للمجتمع ، ويمكن الإستفادة بها فى تحقق الوحدة وتنقية الجو العربى من الدعوات العصبية والقبلية والجاهلية لأن القومية العربية تقدر القوميات والجنسيات الأخرى وترفض العنصرية والتعصب .. ولهذا كان ابن باديس يردد تلك المعانى بقوله : احذر من التعصب الجنسى الممقوت فهو أكبر علامة من علامات الهمجية والإنحطاط ، وكن أخا إنسانيا لكل جنس من أجناس البشر وكن محسنا لكل أحد من كل جنس ودين فدينك الشريف يأمرك بالإحسان.(٢)

ثانيا : مقومات القومية العربية :

هى مجموعة العوامل والأسس التى ساهمت فى تكوين القومية العربية كفكرة ودعوة ومشاعر مثل وحدة اللغة والدين والعادات ووحدة الفكر والثقافة ووحدة الأهداف السياسية والإجتماعية وهى :

(١) العامل اللغوى :

ويتمثل فى وحدة اللغة وأثرها الإيجابى فى توحد الأمة والقضاء على عوامل الجهل والتفرقة ، فباللغة تتحقق القومية والتى لا تكون إلا بالاتحاد التام بين أفراد الأمة قلبا وعقلا وروحا ولسانا .

---

(١) د. صالح خرفى : صفحات من الجزائر . مقال : عبد الحميد ابن باديس والعروبة ص ٥١ - ٨٢ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٣ ص ١٧٩ . وتفسير ابن باديس فى مجالس التذكير ص ٦٦٢ - ٦٦٥ .

ويؤكد ابن باديس هذا المعنى بقوله : ليس تكون الأمة بمتوقف على إتحاد دمها ولكنه متوقف على إتحاد قلوبها وأرواحها وعقولها إتحاداً يظهر فى وحدة اللسان وآدابه وإشتراك الآلام والآمال .

كما يشير إلى أهمية هذا العامل فى إحداث الترابط بين القوميات العربية ووحدتها وأن هذه القوميات تضعف العامل اللغوى لدرجة أن الولاء للغة أجنبية يؤدى إلى ضمور الإحساس بالقومية لأنه يجيد لغة غير لغته القومية .

ولأن اللغة العربية هى لغة القرآن ولغة القومية فهى مرتبطة بحياة وسلوك ومشاعر الإنسان العربى المسلم وتفكيره وتاريخه ، وهى أساس بناء الشعور القومى المتحد ، وفى هذا يقول ابن باديس : إن القومية العربية حقيقة موجودة مع وجود العرب من قديم وأن الإسلام ولغته هو الذى يميز هذه القومية بين مختلف الأقطار ومنها الجزائر ، فالقومية الجزائرية مرتبطة بالقومية العربية إرتباطا وثيقا .. ولهذا فلنا مواهب مثل ما لغيرنا ولنا فى هذه القومية العربية الخالدة مثل ما لغيرنا ولنا فى هذا التاريخ الممتد البعيد مجد وملك مثل ما لغيرنا وفوق ما لغيرنا .(١)

ويؤكد ابن باديس على أهمية العامل اللغوى فى تكوين الشعور القومى واستمراره خاصة وأن اللغة العربية ليست مجرد لغة علم أو مجموع الأصوات والحركات المعبرة أو الصادرة عن مجموعة المراكز المخية ، بل لكونها لغة العقيدة ووسيلة التعبير عن المشاعر والأهداف الواحدة ، وأن هذا الأثر كان لقوة إنتشارها وتأثيرها عبر الجزيرة العربية والأقطار المجاورة لها ، فكانت اللغة العربية هى الرابطة الأصلية بين كثير من الشعوب العربية والغير عربية فى الشرق أو الغرب .

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٣ ص ٢٦٤ - ٢٦٧ ، ويمكن الرجوع للتقرير الأدبى الذى كتبه ابن باديس فى إجتماع جمعية التربية والتعليم بالجزائر عام ١٩٣٩ .

وهذا الرأى يؤيده رجال اللغة والتاريخ ومنهم جورجى زيدان الذى أكد أهمية دخول وانتشار العديد من المصطلحات العربية فى غيرها من اللغات فكان التفاهم والتعاون والإرتباط ، فلغة الحبشة متفرعة عن اللغة العربية وأن الحروف المستعملة عند الأعاجم كالترك والفرس والهنود وغيرهم من جملة الآثار الشاهدة على ذلك .(١)

(٢) العامل الدينى :

فالإيمان بالله وبالنفس فى مقدمة عوامل الوحدة والقومية والتى تدعم الشعور القومى فحين يعبد الجميع الإله الواحد ولا يشركون به شيئا تتوحد الإرادة وتتآلف القلوب والمشاعر .

ويشير ابن باديس إلى أهمية هذا العامل بقوله : أيها الشعب الكريم ها أنت إستيقظت من نوم عميق وفتحت عينيك للحياة ونهضت للعمل مع العاملين فتقو بالاتحاد وتسلح بالايمان ، فلا قومية إلا بالفكر والعقيدة ، والتاريخ شاهد على ذلك، فالقرآن قد ألف بين شعوب كثيرة متباغضة متضاربة فاصبحت متحابة ومتآخية تعمل على نشر العدل والأخوة والسلام .

فكان الإيمان كعامل توحد بين الإرادة القومية هو الدافع للعمل المشترك كما ظهر إبتداء فى غزوة بدر وفى القضاء على الردة وعوامل تفتيت العروبة .. فالإيمان هو الرابطة القوية بين العقيدة والسلوك الفاضل خاصة عندما تنشأ تلك الوحدة الروحية وتتحول الشعوب إلى شعب واحد يدين بدين واحد فيولد الإرادة المشتركة الواحدة رغم وجود الإختلافات المحلية الضيئلة .(٢)

---

(١) جورجى زيدان : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية . ط دار الهلال ١٩٦٩ .

(٢) راجع تفسير ابن باديس للحديث داووا الملك بدواء القرآن فسيكون كما كان الشفاء التام . وراجع الرسالة الأصلية ص ٣٦١ - ٣٧٧ .

(٣) العامل الإقتصادى :

وقد نبه ابن باديس إلى أهميته كدافع لتوحد الشعور القومى وكعامل ربط بين الحاضر والماضى بما فيه من حضارة وقومية . وهو يرى أن العامل الإقتصادى هو أساس القوة والمادة فى الصناعة وأساس تقدم الدول وتماسكها بجميع طبقاتها ، وأن هذا العامل هو الذى يحافظ على القومية فى ماديتها وروحانيتها ، وخاصة عندما يوجه للتعمير وتحقيق العدالة والمساواة وتحقيق الإستقرار الإجتماعى وتوازن المصالح المتعارضة .

وقد أشار ابن باديس إلى أهمية العامل الإقتصادى عند تفسيره لكلمة المصانع التى وردت فى سورة الشعراء وقال : إن المصانع اليوم دلائل حضارة ومدنية وهى لا تحمد فى عمومها ، فبعضها أدوات عذاب لا رحمة ووسائل تدمير لا تعمير ، فالمصانع هى كالمعامل من العمل وأنها حقيقة للأدوات التى تستلزمها الحضارة ويقتضيها العمران ، وتحمد المصانع التى تشاد لنفع البشر ورحمتهم ، ومن لوازم ذلك أن تراعى فيها حقوق العامل على أنه إنسان لا آلة .(١)

(٤) العامل الإجتماعى :

وهو عند ابن باديس لا يقل أهمية عن العامل الإقتصادى ، فبدونه لا يتحقق الترابط والاتحاد والتعاون بين أفراد الأمة ، وبه يكون الاتحاد والترابط القومى الناشىء عن التطور الثقافى والوعى الإجتماعى .

وهذا العامل تظهر فاعليته القومية عن طريق التربية السليمة والتى تظهر عند مواجهة الخطر المشترك فيزداد الشعور بالوحدة الوطنية وتتضح المشاعر القومية وحب الوطن ، ويتحول الإتحاد إلى إندماج أمام الخطر المشترك ، وبه تتحقق رغبات الأغلبية وتتم المحافظة على الأرض .

---

(١) ابن باديس : التفسير فى مجالس التذكير . سورة الشعراء ١٢٨ - ١٣٥ وابن باديس : حياته وآثاره جـ ٤ ص ٥٩ _ ٧٦ محاضرة ابن باديس بعنوان : العرب فى القرآن .

ويرى ابن باديس أنه فى هذا الإطار الإجتماعى الممتد تكمن القومية العربية وتنمو ولا يضعفها إلا التفرق ولا يقويها إلا مقاومة كل فاسد فى مجتمعاتها ، لأن المجتمع الفاسد لن يستطيع إصلاح نفسه ، ولابد من الإلتزام بالقانون الذى به تنتشر الفضيلة الأخلاقية ذات الأثر الكبير فى الحياة الإجتماعية ، لأن حكمة الله إقتضت أن يكون لكل عمل من الأعمال الإنسانية ولكل طور من أطوار البشر أثر فى الهيئة الإجتماعية فالحدود والأحكام لتبين الخير والشر وتميز النفع من الضر .

(٥) العامل التربوى :

ويقصد به محاولة جمع الكلمة وتوحيد الوجهة بأسلوب التربية والتعليم حتى تنبعث المقومات الأساسية للشخصية العربية وتجتمع الدول العربية فى قومية واحدة. .

ويستعين ابن باديس فى تحقيق هذا العامل بوسائل العلم والحضارة للقضاء على عوامل التخلف والجهل والفرقة ، والتنبيه على أهمية الثقافة وخطر الإفتراق بقوله : إن الأمة تجتاز اليوم طورا من أشد أطوارها وأخطرها ، فهى تتناسى كل خصومة ، وتعمل لجمع الكلمة وتوحيد الوجهة ونبذ رءوس الباطل والضلال الذين لا تجدهم الأمة أيام محنتها إلا بلاء عليها ، ولا يتحركون إلا إذا حركوا الغايات عكش غايتها ... وإننا لا يمكننا أن نفصل بين النواحى الثقافية والسياسية بالنسبة للأوضاع التى نعيشها فى المغرب العربى ، وأنا أومن بأن الناحية السياسية والناحية الثقافية تسيران جنبا إلى جنب .(١)

---

(١) راجع ما كتبه رجال الفكر الجزائرى عن كفاح ابن باديس ، ومنهم : عبد الحميد مهدى وعبد الحميد مزيان وعمار الطالبى ، محمد العربى ، وعثمان شيبوب مجلة الأصالة. العدد الخاص عن كفاح ابن باديس عدد ١٩٧١ ص ٧٤ - ٨٧ ومجلة المسلمون عدد عام ١٩٨٢ . ص ٥٢ . مقال صالح الحاجة ص بعنوان : عبد الحميد بن باديس الأب الروحى للمجاهدين الجزائرين .

ولشدة إهتمام ابن باديس بالعامل التربوى اطلق بعض تلاميذه على محاولاته فى بعث القومية العربية إسم الثورة الباديسية على إعتبار أن توحيد الوجهة وجمع الكلمة يتطلب رفض الإستغلال الأجنبى والاستعمارى كما يتطلب إيقاظ الروح القومية للشعب وجمع شمائلة ووحدة وطنه وإستقلاله ، ولهذا فالثورة الباديسية ذات أهداف سياسية وإجتماعية تنحصر فى تكوين الوعى الشعبى على اساس من العلم والتعليم والعودة إلى أصالة الأمة فى التاريخ .(١)

(٦) نشر الوعى القومى :

وهذا يتطلب إبتداء التعريف بحقيقة القومية والعوامل الإجتماعية والبيئية المؤثرة فيها ، ثم القيام بدراسة علمية متأنية لظروف الوحدة وفهم المعوقات والمقومات ، ومدى إمكان تحقيق الوحدة القومية وأسبابها ودور رجال النهضة الأدبية ، فى إبراز مميزات هذه القومية والتى تضفى على الدولة العربية سمتها ولوناً خاصاً مميزاً لها عن غيرها من الأمم ، وبوصفها أمة تحب الحرية والكرم والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف وإغاثة الملهوف والتراحم الإجتماعى والشجاعة والإباء والإيمان بالعدالة والمساواة وغيرها من التقاليد المميزة لنا والتى تربط أبناء الأمة بعضهم ببعض .

ولم يقف ابن باديس عند حد ترديد هذه الآراء ورسم خطوات الوعى القومى بل كانت مشاركته الفعالة سببا فى جعله فى مقدمة دعاة القومية العربية والوحدة فى العصر الحديث . وفى هذا الإطار :

أ - ساهم عمليا فى نشر الوعى القومى بالمقالات والخطب والصحف التى أنشأها والندوات التى كان يعقدها والمؤتمرات التى كان يدعو لها ، للتنبيه على عوامل ضعف القومية العربية والوسائل العملية لمواجهتها .

---

(١) نفس المرجع السابق

ب- ساهم فى إنشاء العديد من المدارس العربية ، وتكوين الجمعيات الوطنية والعلمية وفى مقدمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . وعمل على نشر الوعى الدينى وتنوير العقول وتفسير القرآن بالمساجد .

جـ- عمل على مواجهة حملات التشكيك الغربى وتصحيح المعلومات الخاطئة عن العرب والتى كانت تصف المجتمع العربى بالهمجية ، وقدم مقالا يعتمد على الحجة والمنطق عنوانه : معلومات مغلوطة عن العرب جاء فيه : إن القرآن يعيب على العرب رزائلهم النفسية كالوثنية ونقائصهم الفعلية كالقسوة والقتل ، وينوه بصفاتهم الإنسانية التى شادوا بها مدنياتهم السالفة واستحقوا بها النهوض بمدنية المدنيات كما يدعوهم إلى النظرة الكلية الشاملة فى التاريخ ، إذ يجب ألا ينظر التاريخ من جهة واحدة بل ينظر من جهات متعددة ، ففى العرب نواح تجتنى ونواح تجتنب وجهات تذم وتقبح وجهات يثنى عليها وتمدح .(١)

د - عمل على إحباط كل مخطط يهدف إلى إضعاف اللغة العربية والدين. وأثبت بالحجة والبرهان أن الدين يحدث أقوى الروابط الاجتماعية ، وأن الوحدة الحضارية المشتركة بين الأمة العربية والمتمثلة فى الأدب العربى والفلسفة والفن والعلم لها أثرها فى نمو العاطفة القومية . كما أن ترابط الأمة يكون بوحدة عقيدتها ، أى بارتباط القلب واللسان وإرتباط العقل والتفكير وإرتباط الشعور والتقدير ، وخصوصا عندما يتحرر الشعور العام لأمر هام ، فما الوحدة إلا وحدة التقاليد الدينية فى واقع متحد وفكر متحد .

هـ- عمل على توحيد الشعور القومى حول حقوق الشعب الفلسطينى والتى سميت بمحنة فلسطين ، وساهمت مقالاته وخطبة فى هذا المجال فى خلق

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره : جـ ٤ ص ٥٩ - ٧٦ ، عمر بن قنية : عبد الحميد ابن باديس رجل الإصلاح والتربية ص ٣٧ وفى تفسير ابن باديس ص ٦٦٧ ، ٦٧٦ .

شعور قومي متحد ، ظهرت آثاره الإيجابية فى المؤتمرات المحلية والدولية ، والعمل العربى المشترك ، كما ظهرت الجامعة العربية فى مايو ١٩٤٥ . كأول صورة عملية إيجابية فى طريق الوحدة والقومية .(١)

ثالثا : بين القومية والوطنية :

قدم ابن باديس عدة تعريفات لمفهوم الوطنية ليربطها بالشعور القومى العام والوعى الإجتماعى العربى ، وليؤكد على فطرية المشاعر الوطنية والقومية وأثرها الإيجابى فى إحداث التحول والنهضة والوحدة وبناء المواطن الصالح .

- فالوطنية عنده إحساس غريزى كامن فى النفوس كالقومية ، وهى الشعور الوطنى الدفين فى كل مواطن عربى مسلم .

- والوطنية عنده هى النهضة القومية القائمة على بناء المواطن الصالح وهى تقوم على دعائم دينية واجتماعية وأخلاقية من أجل الخير العام للبشرية ، والمواطن بهذا المعنى يقدر مسئولياته حق قدرها ويحترم حقوق الإنسان كل الإحترام . ويأتى تأكيد ذلك فى قول ابن باديس : نهضتنا نهضة بنيت على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشرية ، لا يخشاها والله النصرانى لنصرانيته ولا اليهودى ليهوديته ولا المجوسى لمجوسيته ، ولكن يجب والله أن يخشاها الظالم لظلمه والدجال لدجله والخائن لخيانته .(٢)

- والوطنية عنده هى الإرتباط القوى بالوطن وتاريخه ولغته وحضارته وليس معنى ذلك أنها عملية تدريب سياسية ، بل هى مجموعة المشاعر والأحاسيس الفطرية التى تتولد وتقوى مع العقيدة .

---

(١) راجع ما كتبه الشيخ البشير الإبراهيمى فى مقدمة كتاب . جوانب من الحياة العقلية والأدبية فى الجزائر . تأليف د. محمد طه الحاجرى وفى الرسالة الأصلية ص ٣٥٥ - ٣٧٨ وفى ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) ابن باديس : مجلة الشهاب . جـ ٧ م ١٣ عدد سبتمبر ١٩٣٧ . ص ٣٠٤-٣٠٧ .

- والوطنية عنده شعور قومى يتولد من مشاعر وطنية ، وبالتالى لا فاصل بين الوطنية والقومية لأن كليهما إحساس غريزى فطرى يطبع القلوب ويوجه العقول ويحفز الهمم .

ويرجع ابن باديس ترابط القومية والوطنية إلى تداخل المشاعر القومية والوطنية فى النفس الإنسانية ، وأن هذه المشاعر تنشأ مع الوعى بالذات وبالآخر أو ما يسميه ابن باديس بحب الذات وطلب البقاء . وهو يؤكد ذلك بقوله : إن معنى الوطنية العربية دفين فى كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها لاسيما فى أمة تنسب إلى العروبة وتدين بالإسلام ، وأن هذه الوطنية لا تنفصل عن القومية العربية لأنها إحدى صورها ، وأن من نواميس الخلقة حب الذات للمحافظة على البقاء ، وفى البقاء عمارة الكون ، لهذا فكل ما تشعر النفس بالحاجة إليه فى بقائها فهو حبيب إليها ، وهذا الحب الفطرى ينمو مع الإنسان ويتسع باتساع أفقه ووطنه .(١)

- والوطنية عنده شعور بالإحتياج للوطن والمواطن ، لأن الوطن هو ذلك النبع الذى يستمد منه مواطنوه مقومات الشخصية ويكونوا على إتصال مباشر ودائم معه ، ويصف ابن باديس ذلك بقوله : إن الإنسان لا يستطيع الإستغناء عن وطنه لأنه فى حاجة دائمة إليه ويعلل ذلك أننى كلما أردت أن أعمل عملا وجدتنى فى حاجة إليه ، إلى رجاله وحاله وآلامه وآماله ، والمواطنون هم الذين يعمرون القطر وتربطهم به ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل ، وذلك لأن النسبة إلى الوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية والمحافظة على شرف اسمه وسمعته ودينه ، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه .(٢)

---

(١) محمد الميلى : ابن باديس وعروبة الجزائر ص ٦٥ .

(٢) ابن باديس : مجلة الشهاب جـ ١ م ٥ عدد نوفمبر ١٩٢٩ . ص ٩ - ١٤ ، وفى ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٣ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

– والوطنية عنده فى معناها السياسى هى المواطنة المتمثلة فى المشاركة والمقاومة ، وهذه المواطنة اسم جامع لمعنى الترابط مع الوطن وتاريخه والإنسان الذى يعيش فيه .

ولكى تتحقق المواطنة الفعلية للفرد لابد أن يشعر المواطن بذاتيته ومدى حبه لوطنه وإخوانه ومدى تعاونهم معه وتعاونه معهم ، ولابد أن يجمع فى شخصيته بين الأصالة والمعاصرة لأن وطنيته تحتم عليه ضروره الاحتفاظ بما فى الماضى من نفع ومدنية والإعراض عن الثرثرة بدون تفكير ولا روية .(١)

ويؤكد ابن باديس على أن الوطنية لا تكون إلا مع المواطن الصالح الذى يجمع بين القديم والجديد ويرفض الإستعمار والجمود والإنغلاق على الحياة العصرية ومتطلباتها ، فهو يأخذ بثقافة العصر بما فيها من علم ومدنية ، مع ضرورة أخذ العلم عن كل أمة وبأى لسان دون تعصب ، وإقتباس كل ما هو حسن مما عند غيرنا ومد اليد إلى كل من يريد التعاون معنا على الخير والسعادة والسلام فليست الوطنية هى الخداع السياسى أو التعصب المذهبى والإنغلاق .

فالمواطن الصالح هو إنسان غير متعصب وغير أنانى وغير مفسد ، إنه إنسان خيّر يحب الخير لنفسه وبنى قومه وهو فى عمله هذا يعمل على حماية الوطن من الطائفية وإنحرافها .(٢) و إلى ذلك يرجع البعض مواقف وآراء ابن باديس فى الوطنية بوصفها موقف تاريخى يتميز بالموضوعية وعدم التعصب ، ورفضه لكل أنواع التعصب السياسى والمذهبى التى ظهرت فى تاريخنا تحت شعار القومية إبتداء

---

(١) ابن باديس وعروبة الجزائر . تأليف محمد الميلى ص ٥٣ .

(٢) يمكن عقد مقارنات بين آراء ابن باديس هذه وما ذهب إليه أرسطو قديما وبعض رجال الفكر السياسى والإجتماعى حول الوطنية والمواطن الصالح . راجع الرسالة الأصلية ص ٣٦٣ – ٣٦٨ .

من التعصب الأموى للقومية العربية حين منعوا غير العرب من الوظائف الكبرى بل ومن التزوج بالعربية .

ولقد ظهرت الآثار الإيجابية لآراء ابن باديس ومواقفه الوطنية على المستوى الداخلى والخارجى لأنه أثبت عمليا أن الوطنية ليست هى الأراء والشعارات السياسية بل هى العمل والمشاركة وإعطاء المثل فى القدوة والإقتداء ، وأثبت ابن باديس بنفسه الوطنية قولا وعملا فكان وطنيا صادقا حين رفض التعاون مع الإستعمار ، ورفضه لمحاولات التجهيل والفرنسة ، ومعارضته لمحاولات مسخ الشخصية العربية وهدم المدارس والمساجد ، وقاطع إحتفالات فرنسا باحتلال الجزائر ...

- كما كان لآرائه ومواقفه أثرها حتى بعد وفاته لاستمرار التيار الوطنى الذى أسسه ابن باديس ، والتى أمام فاعليته أعلنت فرنسا عام ١٩٤٦ أنها تريد أن تعود بالشعوب الموضوعة تحت رعايتها نحو الحرية ، وفى أن تحكم نفسها وتدير شئونها الخاصة بادارة ديمقراطية ...

- كما يرجع لابن باديس فضل إشراك الجزائريين فى المجالس الإقليمية والبلدية التى كانت مقصورة على الأوربيين حتى عام ١٩١٩ . وظهور دستور الجزائر الخاص بها أثناء ثورتها عام ١٩٥٥ .

- كما يرجع لابن باديس فضل تعاظم الشعور الوطنى والقومى بالمغرب العربى والذى ظهر واضحا فى المؤتمرات الدولية التى كانت تعقد للمطالبة باستقلال وتحرير الشعوب من الإستعمار ، والتأكيد على القومية العربية ووحدة الشعوب المغربية وكيفية تحقيق هذه الوحدة عمليا ...

- كما يرجع لابن باديس فضل إذكاء روح التحرير والإستقلال لدى الشعوب الإفريقية وإلى دوره وآرائه يرجع البعض معظم الثورات التحريرية فى إفريقيا ..

- كما يرجع لابن باديس أيضا فضل ترسيخ مفاهيم القومية والوطنية والشخصية العربية ، وإثبات أن اليقظة الوطنية تقوم على المعرفة العلمية وعلى المحبة والتعاون ولا تقوم على العنف والعصبية ، والتأكيد على أن المشاعر الوطنية من الغرائز الفطرية المتولدة من غريزة حب الذات وطلب البقاء ، ودليل ذلك أن الإنسان فى طفولته يحب بيته وأهل بيته لما يرى فى حاجته إليه وإستمرار بقائه معهم ، وما البيت إلا الوطن الصغير ، فإذا تقدم شيئا فى سنه إتسع أفق حبه وأخذت تتسع بقدر ذلك دائرة وطنه ، فإذا دخل ميدان الحياة وعرف الذين يماثلونه فى ماضيه وحاضره وما ينظر إليه فى مستقبله ووجد فيهم صورته بلسانه ووجد أنه منهم بأخلاقه ونوازعه ومنازعه ، شعر نحوهم من الحب بمثل ما كان يشعر به لأهل بيته فى طفولته وذلك لما فيه من غريزة حب الذات وطلب البقاء ، فهؤلاء هم أهل وطنه الكبير ومحبته لهم فى العرف العام هى الوطنية ، فإذا عرف ذلك بالعلم الصحيح شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية وكانت الأرض كلها وطنا له ، وهذا هو وطنه الأكبر ، فلا يعرف ولا يحب الوطن الكبير إلا من عرف وأحب الوطن الصغير .(١)

ويرى البعض أن الأثر الإيجابى الحقيقى لآراء ابن باديس فى الوطنية يتمثل فى دوره الفعّال فى مواجهة القوى الخارجية ورده على دعاوى الخصوصية للقومية العربية والوطنية الإسلامية وأنها دعوة إلى الإستقلالية والتخصص والبعد عن الوحدة العربية ، فكانت ردود ابن باديس المقنعة الدالة على عمومية الوطنية

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره . جـ ٣ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ وفى مجلة الشهاب : مقال ابن باديس بعنوان الوطن والوطنية جـ ٧ م ١٣ عدد سبتمبر ١٩٣٧ . ص ٣٠٤ - ٣٠٧ ، ومقال آخر بعنوان الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء والذى ختمه ابن باديس بقوله : أشعب الجزائر روحى الفدا .. لما فيك من عزة عربية بنيت على الدين أركانها.. فكانت سلاما على البشرية .

الإسلامية ومنها قوله : نعم إننا نتحد لننفع أنفسنا وننفع إذا إستطعنا غيرنا ، ومعاذ الله والإسلام أن نتحد على أحد أو نتفق على باطل أو نتعاون على إثم أو عدوان، فالوطنية الإسلامية تقوم على روح إنسانية دافعة إلى الألفة والتوحد فى الشعور والتفكير وتربط الأمة بسلسلة طويلة من الروابط الفكرية والعاطفية .(١)

رابعا : ملامح الوطنية الإسلامية :

إستمد ابن باديس الملامح المميزة للوطنية الإسلامية مما أوجبه الإسلام على المواطن الصالح من صفات عملية وفضائل أخلاقية كالصدق والأمانة والتعاون **على الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** . فالمواطن فيها إنسان خيرّ يسعى دوما إلى الخير العام للإنسان لا خيره الخاص ، ومن ثم جاءت الوطنية تحمل عدة ملامح مميزة .. فهى وطنية أخلاقية ، ووطنية إنسانية شاملة ، ووطنية صادقة لأنها وطنية المواطن الصالح ..

ونلاحظ فى هذا الإطار : أن الوطنية الإسلامية عند ابن باديس لم تخرج عن الأطار الأخلاقى العام ولم تنحصر فى إطار الشخصية والمحلية ، بل كانت عملاً جماعياً وإنسانياً ورغبة صادقة فى الحصول على الحقوق السياسية للمواطن من أجل خدمة الأوطان الأخرى وإيصال النفع إليها ، تماماً كما يعمل المواطن لخدمة قومه ووطنه الخاص .. وهذه الوطنية توجد كشىء طبيعى وشعور فطرى فى الوطن العربى الكبير الذى يتكون من أفراد مشتركين فى اللغة الواحدة وكذلك العقيدة والفكر والآداب والتاريخ والأخلاق والمصلحة أيضاً ..

* والوطنية الإسلامية عنده هى وطنية أخلاقية تقوم على مبادىء الحب والتعاون ، ولا تتحقق إلا فى إطار العدل والحق والمؤاخاة فى إعطاء جميع الحقوق

---

(١) د. عمار الطالبى : مجلة الأصالة العدد ٧ س ٢ إبريل ١٩٧٢ . مقال : النزعة الإنسانية والجمالية عند ابن باديس ص ٥٠ – ٥٢ .

للذين قاموا بجميع الواجبات ، وكان ابن باديس بنفسه مثالا عمليا لهذه المواطنة فكان لا يعمل من أجل نيل حقوقه السياسية والشخصية كمواطن فقط بل كان سعيه من أجل أن ينال كل مواطن حقوقه السياسية والمدنية ، فكان مثالاً صادقا للمواطن الذى يعبر بصدق عن الآراء ، ويشارك بفاعلية فى تقديم الحلول الممكنة لمشاكل الوطن .(١)

* والوطنية الأخلاقية بوصفها دعوة صادقة إلى الحب للوطن والأوطان والإنسان هى إستجابة لإنسانية الإنسان الداعية للحياة والحب التى يدعو إليها ابن باديس بقوله : حب وطنك ولا تبغض أوطان الناس ، وانفع وطنك ولا تضر أوطاناً أخرى ، وإنى أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها فى جميع أجناسها وأوطانها وفى جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها . فالحياة عمادها الحب ، وإننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلاً ، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءاً ، ونحب من يحب الإنسانية ويحترمها ونبغض من يبغضها ويظلمها .(٢)

* والوطنية الإسلامية بمفهومها الشامل هى الرابطة الإنسانية التى تحقق الإتحاد بين المسلمين فى وطن واحد من أجل العروبة والإسلام ومن أجل خير البشرية العام ، لأنها وطنية تقوم على روح إنسانية تؤمن بالإنسان الواحد فى النشأة والمصير ، وإستجابة لدعوة الحق سبحانه : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا .(٣)

---

(١) راجع فى ذلك دراسات الدكتور مصطفى حلمى : الإسلامية والمذاهب الفلسفية المعاصرة .

(٢) السيد محمد عشماوى .د. الموقف من الغرب الأوربى من خلال كتابات الإمام ابن باديس .

(٣) النساء : (١)

وهنا نلاحظ أن الوطنية أشمل مفهوما وأوسع مجالا من القومية رغم التشابه الظاهرى بين الوطنية والقومية ، فالوطنية تعنى كل من أسلم سواء عربى أو غير عربى ، وهذه المواطنة هى التى يتوجه إليها الخطاب القرآنى فى آيات كثيرة يفتتحها بقوله تعالى : يا أيها الناس ، يا أيها الذين آمنوا ..

* والوطنية الإسلامية تعترف بالترتيب المنطقى للوطنيات التى تبدأ بالوطن الصغير وهو البيت والأسرة ثم الوطن الكبير وهو الأمة ثم الوطن الأكبر وهو مجموع الإنسانية ، وهى كشعور فطرى وميل طبيعى للإجتماع الإنسانى تعتبر أم الوطنيات جميعا والتى تعترف بها وتقدرها وتحترمها لأنها الوطنية التى تحافظ على الأسرة بجميع مكوناتها وعلى الأمة بجميع مقوماتها وتحترم الإنسانية فى جميع أجناسها وأديانها . وهذه هى قمة العدالة والمساواة ، وفى هذا تتميز الوطنية الإسلامية عن غيرها من الوطنيات القائمة على التعصب والأنانية والوطنى فيها لا يعرف إلا وطنه الصغير ، والمواطنون فيها يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيليات على دم غيرها من الحيوان . وهم فى الغالب لايكون منهم خير حتى لأقاربهم وأهل بيتهم .. إن هذه الوطنية المتعصبة الجاهلة الشريرة هدفها التوسع فى الملك ولو بادخال الضرر والشر على الأوطان الأخرى ويعملون على إمتصاص دماء الأمم ولا تزدهم إلا القوة وهم شر وبلاء على غير أممهم بل وعلى أممهم .(١)

---

(١) ابن باديس : مجلة الشهاب . حـ ٦ م ١٣ أغسطس ١٩٣٨ . مقال : ابن باديس بعنوان: هل آن أوان اليأس من فرنسا .

راجع ما كتبه : محمد الميلى فى ابن باديس وعروبة الجزائر ص ١٨٠ -١٨١ و: محمد أمين هلال فى القومية الإسلامية العربية ص ١١ - ٢٨ و: عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى إفريقيا ص ٢٤٩ . وفى الرسالة الأصلية ص ٣٧٠ - ٣٧٢ .

خامسًا : القومية والحرية :

كان لإبن باديس دور السبق بين مؤرخى السياسة العربية فى العصر الحديث حين أشار إلى العديد من الحقائق والروابط التاريخية للقومية والوحدة العربية التى كانت موجودة فى صورة أشكال من الوحدة الأدبية والثقافية والروحية رغم عدم وجود نظام سياسى موحد لهذه الدول ، كما كان له دور السبق أيضاً فى دعوته إلى القومية العربية القائمة على دعائم الحرية السياسية ووحدة الفكر والهدف ، مؤكدًا على أهمية هذه الوحدة وكيفية تحققها ، وفى ذلك جاء قوله : إن الدولة العربية الواحدة موجودة منذ مئات السنين وهى أمة وجدت على مر التاريخ ، وتاريخها حافل بجلائل الأعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبح شأن أى أمة من أمم الدنيا ، وأن الإتحاد الإسلامى والعربى بالمعنى الروحى والمعنى الأدبى والمعنى الأخوى هما موجودان تزول الجبال ولا يزولان بل هما فى إزدياد دائم . وأما بالمعنى السياسى والمعنى العملى فلا وجود لهما إلى اليوم .. وإننى أؤمن بأن هذا الشمال الإفريقى لا ينهض إلا بتضامنه مع بعضه بعضا ، وأن الإتحاد ضرورة من أجل مصلحة العرب والمسلمين ، ولابد أن نتحد لننفع أنفسنا ، ومعاذ الله والإسلام أن نتحد على أحد أو نتفق على باطل أو نتعاون على إثم أو عدوان .. أيها الشعب الكريم تقو بالإتحاد وتسلح بالإيمان وتدرع بالصبر وتحصن بالثبات ، وسر بهدوء ونظام فى طريق الحق والخير إلى منزلتك اللائقة بك .(١)

ولكى يقيم ابن باديس هذا الإتحاد حدد أهم المقومات والدعائم وفى مقدمتها شرط الحرية والإستقلال ، ونبذ النزعات الطائفية والعصبية ووحدة

---

(١) ابن باديس : مجلة الشهاب جـ ١ م ٢ عدد إبريل ١٩٣٦ . مقال : حكمة صريحة وفيه رد على من أنكروا وجود القومية العربية والجزائرية . ص ٤٥ وراجع ما كتبه د. صالح خرفى : صفحات من الجزائر ص ٩٠ وما بعدها .

الكلمة والعقيدة وحرية التعليم ورفض الظلم والإستبداد وعدم التمييز بين الطبقات.

وكان شرط الحرية والإستقلال عنده هو الشرط الأول لتحقيق الوحدة ، لأن الوحدة السياسية لاتكون إلا بين شعوب تسوس نفسها ومستقلة تماماً ، فإذا تحررت الشعوب واستقلت عندئذ تكون الوحدة بينها واجبة ولتضع خطة واحدة تسير عليها فى علاقاتها مع غيرها من الأمم وتتعاقد على تنفيذها وتكون كلها فى تنفيذها والدفاع عنها يداً واحدة ، فهى مقتدرة على الدفاع عنها كما كانت حرة فى وضعها ، أما الأمم المغلوبة على أمرها فهذه لا تستطع أن تدافع عن نفسها فى داخليتها فكيف يعتمد عليها فى خارجيتها ، فالوحدة السياسية بين هذه الأمم الغير مستقلة غير ممكنة ولا معقولة ولا مقبول .(١)

وهنا نلاحظ تأكيد ابن باديس الصريح على أهمية الحرية للإنسان والمجتمع وأنها الشرط الضرورى لقيام وحدة حقيقية بين الأمة العربية والإسلامية كما نلاحظ أيضا تأكيده على ماهية الحرية كوسيلة وغاية وشعور محبب للإنسان وأن حقيقة الحرية ليست هى التحرر السياسى فقط بل التحرر الروحى والعقلى للإنسان ..وهنا تأتى كلمات ابن باديس لتعبر عن أصل الحرية وحقيقتها فيقول : " إن هذه الحرية حق طبيعى وغريزى فى الإنسان والحيوان حتى أن البهيمة تحن إلى الإستقلال الذى هو أمر طبيعى فى وضعية الأمم ، وأى إنسان يا سادة لايحب الإستقلال ، فالحرية والحياة محبوبان للناس بالطبع ومرغوبان لهم بالفطرة . لأن الحياة حياتان : حياة الروح وحياة البدن . والحرية كذلك . فإذا حررنا أرواحنا وعقولنا فقد حررنا كل شيء .

---

(١) د. صالح خرفى : صفحات من الجزائر ص ٨٨ - ٩٠ .

إن الحرية والإستقلال حق طبيعى لكل أمة ولكل فرد ، وأن حق كل إنسان فى الحرية كحقه فى الحياة ، وأن مقدار ما عنده من حياة هو بمقدار ما عنده من حرية ، وبما أن كل شعب بطبيعته محب للحرية فأحرى وأولى بالشعوب العربية أن تعمل من أجل هذه الحرية وهذا الإستقلال ، لأن بهما تكون الحياة وهى أمل الإنسان فى الحياة وحلمه الذى يسعى من أجله ويتوق إلى تحقيقه .. ويعبر ابن باديس عن مشاعره نحو الحرية والتحرر وعشقه لها بقوله : آه وآه أيها الحرية واشواقاه إليك بل واشوقاه . إليها محياهم والممات مماتهم . إنقذ اللهم بهم وطنك وأصلح بهم عبادك .. إننى عدو أعداء الحرية وحبيب أحبائها.(١)

ولم يقف ابن باديس عند حد التعبير عن مشاعره أو بيان حقيقة الحرية وأهميتها فى قيام الوحدة والقومية العربية بل كان له مواقفه العملية وآراؤه السياسية التى تكشف عن أهم المعوقات المؤثرة فى إضعاف الروح القومية وكيفية التغلب عليها ، وهذه العوامل هى :

١- فردية الإنسان ونزعته إلى الأنانية وعدم إندماجه فى مجتمعه .

٢- سيطرة النزعة الجاهلية والعصبية القبلية وما ينشأ عنها من صراعات طائفية.

٣- تفشى عوامل التخلف والجهل وما ينشأ عنها من ضعف وعدم إنسجام.

٤- الإفتقار إلى روح التضامن العربى والذى لا يكون أى تحرر أو إتحاد بدونه .

٥- تعدد وإنقسام القيادات مع الإفتقار إلى قيادة واحدة واعية .

٦- الإستعمار والرجعية وما أحدثوه من إنقسامات وقيود وعوامل تفرقة .

٧- تعدد القيادات الفكرية المتصارعة وما نتج عنها من أطماع وتعدد للسيادات .

٨- تغلغل الوجود الإسرائيلى فى الشرق العربى وما نتج عنه من مشاكل أعاقت الوحدة والتحرر ، وفى مقدمتها المشكلة الفلسطينية .

---

(١) ابن باديس : حياته وآثاره جـ ٣ ص ٤٨٠ - ٤٨١ وفى مجلة الشهاب عدد يونيو ١٩٣٦ .

أما مواقف ابن باديس العملية وآثاره الإيجابية فقد تمثلت فى :

١- معارضة بعض الآراء التى ترددت حول إمكان قيام إتحاد عربى رغم وجود الإحتلال وعدم تحرر بعض الشعوب وكان يمثل هذا الرأى الأمير شكيب أرسلان وسليمان باشا البارونى . وأثبت ابن باديس لهم الموانع والأخطار التى يمكن حدوثها عند الإتحاد بين الشعوب الغير مستقلة ، مؤكداً على أن الوحدة لاتكون إلا بالحرية والإستقلال ، وأن الحب والسلام لا ينموان فى ظل الإحتلال وكبت الحريات لتعارض الروح الإنسانية التى تقوم على الحرية والمساواة وبين الروح الإستعمارية التى تقوم على العصبية والإستغلال . واكد على أن بلاء العالم هو من الروح الإستعمارية فى حين أن كل خير يرجى للبشرية إنما يكون عندما تسود الروح الإنسانية وفلتسقط الروح الإستعمارية ولتندحر ، ولترتفع الروح الإنسانية ولتنتشر .(١)

٢- إهتمامه اللامحدود بالمشكلة الفلسطينية والدفاع عن القدس ، والتى أسماها مشكلة الحقوق الإنسانية والسلم العام ، واهتم بابراز أثرها على السلم العالمى ، وشارك فى المؤتمرات المحلية والدولية التى عقدت من أجل نصرة القضية الفلسطينية : وأعلن موقفه صراحة حين قال : " إن الدفاع عن القدس واجب كل مسلم ، وأن فلسطين هى ضحية تعاون الإستعمار والصهيونية ، ولابد من معالجة هذه القضية دولياً وعربيا لأنها عامل التفرقة الرئيسى سواء فى الدين أو الوحدة ، وهى عامل الضعف للأمة العربية إن لم تكن عامل تخويف ، فلا مناص من المقامرة فى مواجهة الإستعمار ، وأنه لا أمل فى الحصول على شىء بطريق المطالب

---

(١) ابن باديس : مجلة الشهاب عدد ٥ يونيو ١٩٣٨ . مقال ابن باديس عن مساوىء الإستعمار وفظائعه ، وفى ابن باديس وعروبة الجزائر تأليف محمد الميلى ص ٥٣ . ويمكن مراجعة الرسالة الأصلية ص ٣٧٤ - ٣٧٩ .

والإتصالات ، وإن العمل وحده هو الذى سيحل هذه القضية وليست القرارات والتوصيات ، ومادام الصهيونيون يقبضون على ناصية المال والقوة والمسلمون يقبضون على ناصية الإجتماع والأقوال فياويل فلسطين من الذين يتكلمون ولا يعملون .(١)

٣- الإهتمام بقضايا الوعى والإصلاح والحرية والسعى الدائب لهدم قيود الظلم والإستعباد ، والقضاء على عوامل الجهل والتخلف ، والقضاء على الخرافات والطرقية وإحباط المخططات الإستعمارية ، إعتقاداً منه بأن الإصلاح لايكون إلا مع المعرفة والعلم والإستقلال والنظام والوعى والثورة والتغيير ، ففى ظل ذلك تنمو الصداقات الحقيقية بين الأفراد والدول ، وبها يتكون الأصدقاء الذين يحترمون الإنسانية فى جميع أجناسها وجميع أديانها ويرحمون الضعيف وينصرون المظلوم ويحاربون الظلم والإستبداد .

٤- تحققت السمة البارزة فى الفكر الباديسى الجامع بين النظرية والتطبيق وبين المحلية والقومية ، وكان الأثر الإيجابى فى اليقظة العربية والثورات التحريرية ، وإنتشار الآراء الإصلاحية والتربوية ، والتأثر بآرائه فى الحضارة والحرية والدين والأخلاق والسياسة والعلم والحكمة.

وكان لمناهجه فى التفكير والتفسير أثرها فى معاصريه ومن جاءوا بعده من المنتصرين للعقل والنهضة والتنوير ، لأنه أثبت عمليا أن الإنتصار للعلم والحكمة مواز للإنتصار للحياة وتنمية القوى الإبتكارية للإنسان . وأن العلم هو أساس

---

(١) ابن باديس : مجلة الشهاب . حـ ٦ م ١٤ عدد أغسطس ١٩٣٨ . مقال ابن باديس بعنوان : فلسطين الشهيدة . راجع كذلك ما كتبه د. عمار الطالبى فى آثار ابن باديس حـ ٣ ص ٤١٣ - ٤١٦ ، عمر بن قنية فى عبد الحميد بن باديس رجل الإصلاح والتربية ص ٣٩ ، د. نور الدين حاطوم فى نحو الوحدة العربية ص ٢١ .

الوعى ونمو الإدراك ، وأنه الأساس فى كل بناء ، فبالعلم تبنى الممالك وتشاد ، والعلم هو سياج المملكة وراعيها وهو سلاحها الحقيقى وبه دفاعها ، وأن كل مملكة لم تحكم به فهى عرضة للإنقراض والإنقضاض .(١)

وأن هذا العلم ليس هو النظر المجرد أو مجموع المعارف النظرية بل هو علم الحكمة الذى يتضمن الحياة والعمران وكل تاريخ الإنسان ، فالمعرفة والعلم والتربية من الحكمة ، وحب الله والحرية من الحكمة ، وصدق الإيمان والعقيدة حكمة ، والتعاون والصفاء والوفاء حكمة ، وحب الخير والإنسان من الحكمة ، وحب العلم والحياة حكمة ، وأن علم القرآن هو علم الحكمة ومهمة النبى ﷺ والعالم تعليم الحكمة .

وهكذا أثبت ابن باديس المصلح الفيلسوف أن النظر المجرد لقضايا الإنسان نظر غير مؤثر ، لأن تغيير الواقع وإصلاح الإنسان يتطلب تجاوز طور النظرية والإقتراح المجرد إلى طور التطبيق العملى ، وهكذا فى كل مجال سواء دينى أو أخلاقى أو إجتماعى أو سياسى .(٢) لأن الهدف العام هو الإنسان ، أما الهدف الخاص فهو قيام دولة واحدة ذات كيان سياسى وأخلاقى وإجتماعى تحكمه قوانين واحدة ، دولة تقوم على العلم والحكمة والشورى ، ولا يشعر الفرد فيها بالظلم والإستبداد لأن الأفراد فيها جميعا أحرار متعلمون يحكمون أنفسهم بأنفسهم ويؤمنون بالمساواة والمؤاخاة بين الجميع وإطارها العام هو إتحاد الفكر واللغة والدين والقومية .

تم بحمد الله تعالى

---

(١) راجع : فلسفة ابن باديس النظرية – الجزء الأول فصل المعرفة والعلم .

(٢) راجع : الباب الثالث من هذه الدراسة حول مناهج ابن باديس الإصلاحية .

obeikandl.com

obeikandl.com

مصادر البحث

(١) ابن باديس : من هدى النبوة . للإمام العلامة عبد الحميد بن باديس جمع وتصنيف محمد الصالح رمضان ، توفيق شاهين . الشركة الوطنية بالجزائر ١٩٦٥ .

(٢) ابن باديس : حياته وآثاره . للأستاذ العلامة عبد الحميد بن باديس أربعة اجزاء . جمع وتصنيف د. عمار الطالبي . دار اليقظة العربية - دمشق ١٩٦٨ طبعة أخرى بالجزائر د . ت .

(٣) ابن باديس : تفسير بن باديس فى مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. جمع وترتيب محمد الصالح رمضان ، توفيق شاهين ط ٢ دار الفكر ١٩٧١ .

(٤) ابن باديس : العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . إملاء الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس . رواية وتعليق محمد الصالح رمضان . دار الكتاب الجزائرى . د . ت .

(٥) ابن باديس : مجموعة مقالات فى مجلة الشهاب ١٩٣٠ - ١٩٣٨ .

(٦) ابن تيمية : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٦٦١ - ٧٢٨ هـ

: منهاج السنة النبوية حـ ٣ ط ١ القاهرة - بولاق ١٣٢٢ هـ

(٧) ابن تيمية : السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية . تحقيق محمد ابراهيم البنا . دار الشعب ط ٢ ١٩٧٥ .

(٨) ابن حزم الأندلسى : الإمام أبو محمد على بن أحمد بن محمد ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ : الإحكام فى اصول الأحكام ط ٢ القاهرة ١٣٤٥ هـ .

(٩) ابن حزم الأندلسى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل . طبعة دار الجيل بيروت ١٩٨٥ تحقيق د. محمد ابراهيم نصر ، د. عبد الرحمن عميرة .

(١٠) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد . ت ٨٠٨ هـ .

مقدمة ابن خلدون . تحقيق على عبد الواحد وافى القاهرة ١٩٦٦ .

(١١) ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبى ت ٥٩٥ هـ

: بداية المجتهد ونهاية المقتصد . القاهرة . دار الفكر ١٣٢٩هـ .

obeikandi.com

(١٢) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة . تحقيق موريس بويج بيروت ١٩٣٨. وتلخيص ما بعد الطبيعة . تحقيق د. عثمان أمين . القاهرة ١٩٥٨ .

(١٣) ابن قنية : عمر بن قنية : عبد الحميد بن باديس رجل الإصلاح والتربية. الشركة الوطنية الجزائر ١٩٧٤ .

(١٤) ابو الوفا التفتازانى : د. ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٩ .

(١٥) ابو الوفا التفتازانى : د. ابن سبعين وفلسفته الصوفية دار الكتاب اللبنانى ١٩٦٩ .

(١٦) ابو بكر أبو بكر عبد الرازق : النفحات الغزالية . ط ٢ الدار القومية ١٩٤٩ .

(١٧) أحمد أحمد بدوى .د. القاضى الجرجانى . سلسلة نوابغ الفكر العربى عدد ٣٣. دار المعارف ط٢ . ١٩٨٠ .

(١٨) أحمد الدهلوى : رسالة شرح تراجم أبواب صحيح البخارى ط . حيدر أباد الدكن ١٣٢٣هـ .

(١٩) أحمد بن الداية : الفلسفة السياسية عند العرب تحقيق د. عمر المالكى . الشركة الوطنية . الجزائر ١٩٧١ .

(٢٠) أحمد عبد الفتاح بدر : مفهوم الشورى فى أعمال المفسرين تقديم د. مصطفى الشكعة ط ١٩٩١ .

(٢١) أحمد محمود صبحى د. : الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى دار المعارف . القاهرة ١٩٦٩ .

(٢٢) أرسطو طاليس : علم الطبيعة . ترجمة أحمد لطفى السيد القاهرة ١٩٣٥ .

(٢٣) أرسطو طاليس : فى النفس . تحقيق د. عبد الرحمن بدوى النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٤ .

(٢٤) الأشعرى : أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ت ٣٣٠ هـ . مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد . جزآن ط ١٩٥٠ - ١٩٥٤ . والطبعة الثانية ١٩٦٩ .

(٢٥) الباقلانى : أبو بكر محمد بن الطيب . كتاب التمهيد تحقيق مكارثى . بيروت ١٩٥٧.

(٢٦) البغدادى : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى ت ٤٢٩ هـ : الفرق بين الفرق طبعة دار المعرفة بيروت ١٩٧٣ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة أخرى بالقاهرة د.ت تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢٧) الجرجانى : السيد الشريف على بن محمد : التعريفات . مكتبة مصطفى البابى الحلبى القاهرة ١٩٧٥ .

(٢٨) الجزرى : الإمام أبى السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى : جامع الأصول من أحاديث الرسول حـ ٦ طـ ١٩٥١ .

(٢٩) الجوينى : إمام الحرمين أبو المعالى : الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد . تحقيق محمد يوسف موسى ، على عبد المنعم عبد الحميد . مكتبة الخانجى . القاهرة طـ ١٩٥٠ .

(٣٠) الجيلانى : عبد الكريم بن ابراهيم الجيلانى : الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل. حـ ١ المطبعة الأزهرية ١٣١٦ هـ .

(٣١) الخياط : أبوالحسين عبد الرحيم بن محمد : الإنتصار والرد على ابن الراوندى . طـ ١ بيروت ١٩٥٧ .

(٣٢) السيد محمد عثماوى د. الموقف من الغرب الأوربى من خلال كتابات الإمام عبد الحميد بن باديس . مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد ١ يونيو ١٩٩٢ . ص ٩١ - ١٢٥ .

(٣٣) السيوطى : جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى . الدر المنثور فى التفسير بالمأثور حـ ٥ ، ٦ القاهرة ١٣١٤ هـ

(٣٤) الشهرستانى : محمد بن عبد الكريم . نهاية الإقدام فى علم الكلام . حرره وصححه الفريد جيوم . ١٩٣١ .

(٣٥) الشهر ستانى : الملل والنحل . طـ ١ نشرة محمد سعيد كيلانى القاهرة ١٩٦١ . وطبعة أخرى تقديم وإعداد د. عبد اللطيف محمد العبد . الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٧ .

(٣٦) الغزالى : أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ت ٥٠٥ هـ : المستصفى فى علم الأصول . تحقيق محمد مصطفى أبو العلا طـ ١ القاهرة د.ت ، وطبعة بولاق فى جزئين ١٣٢٤ هـ.

(٣٧) الغزالى : جواهر القرآن طـ ١ كردستان بمصر ١٣٢٦ هـ .

(٣٨) الغزالى : إحياء علوم الدين . طبعة مكتبة مصر ، طبعة دار الشعب ١٩٦٩ .

(٣٩) أميرة حلمى مطر .د. الفلسفة عند اليونان . دار النهضة العربية ١٩٦٨.

(٤٠) أنور الجندى .د. الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال إفريقيا الدار القومية . القاهرة ١٩٦٥ .

(٤١) تركى رابح د. : ابن باديس والشخصية الجزائرية . مجلة الأصالة العدد ٢ س ١ مايو ١٩٧١ . بمناسبة كفاح ابن باديس فى ذكراه .

(٤٢) جورجى زيدان د. : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية . ط . دار الهلال . القاهرة ١٩٦٩ .

(٤٣) جون هرمان راندال : تكوين العقل الحديث جـ ٢ . ترجمة د. جورج طعمه مراجعة برهان الدين الدجانى . دار الثقافة بيروت د. ت .

(٤٤) حكمت أبو زيد د. : التربية الإسلامية وكفاح المرأة الجزائرية مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة د . ت .

(٤٥) رسل (برتراند) : السلطة والفرد . ترجمة محمد بكير خليل دار المعارف . سلسلة إخترنا لك . ٥٣ . القاهرة د.ت .

(٤٦) زكريا ابراهيم د. : المشكلة الخلقية ط ١ مكتبة مصر ١٩٦٩ .

(٤٧) سالم البهنساوى : فى الخلافة والخلفاء الراشدون ، بين الشورى والديمقراطية . القاهرة ط ١. ١٩٩١ .

(٤٨) سامى الدهان .د : عبد الرحمن الكواكبى . سلسلة نوابغ الفكر دار المعارف. القاهرة . د.ت .

(٤٩) سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسفية جـ ٢ طبعة القاهرة ١٣٢٩ هـ.

(٥٠) سعيد زايد : الفارابى . دار المعارف القاهرة ١٩٦٢ .

(٥١) صالح الحاجة : عبد الحميد بن باديس الأب الروحى للمجاهدين الجزائريين . مجلة المسلمون . العدد ١٠ يناير ١٩٨٢ .

(٥٢) صالح خرفى د. : صفحات من الجزائر . الشركة الوطنية بالجزائر ١٩٧٢ .

(٥٣) عبد الحليم محمود .د : التفكير الفلسفى فى الإسلام . الأنجلو ١٩٦٤ .

(٥٤) عبد الحميد درويش .د : الرسالة الأصلية : عبد الحميد بن باديس وآراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق . رسالة ماجستير . آداب القاهرة ١٩٨٢ .

(٥٥) عبد الرحمن الرافعي : جمال الدين الأفغاني .

(٥٦) عبد الرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد . الدار القومية .القاهرة ١٩٥٩.

(٥٧) عبد القادر عبد العزيز : الإمارة وأدلة وجوب نصب الأمراء . مؤسسة دار الأرقم . القاهرة ١٩٩٠ .

(٥٨) عبد الملك عودة : السياسة والحكم في افريقيا .

(٥٩) عبد الوهاب عزام .د : إقبال سيرته وفلسفته وشعره . دار القلم ١٩٦٠.

(٦٠) عثمان أمين . د: رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده .

(٦١) عثمان شبوب وآخرون : ابن باديس والشخصية الوطنية . مجلة الأصالة . ندوة الرأى حول كفاح ابن باديس . مايو ١٩٧١.

(٦٢) على سامى النشار .د : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام . جـ ١ ، جـ ٣. دار المعارف. القاهرة ١٩٨٠ .

(٦٣) عمار الطالبى .د : النزعة الإنسانية والجمالية عند ابن باديس مجلة الأصالة عدد ٧ س ٢ إبريل ١٩٧٢ .

(٦٤) فاضل خلف : عبد الحميد بن باديس مناضل بالعلم والقلم . مجلة العربى . عدد يونيو ١٩٨٠ .

(٦٥) فرحات عباس : حرب الجزائر وثورتها ، ليل الإستعمار . ترجمة أبو بكر رحال . مطبعة فضالة المحمدية بالمغرب . د.ت .

(٦٦) فهمى جدعان : أسس التقدم عند مفكرى الإسلام فى العالم العربى الحديث. ط ١ يناير ١٩٧٩ .

(٦٧) مالك بن نبى : شروط النهضة ومشكلات الحضارة . طبعة بيروت جمع وتقديم عمر كامل مسقاوى . المكتبة العصرية . بعنوان : حديث فى البناء الجديد ، ثم طبع بمصر عام ١٩٥٧ . بعنوان: فلسفة الحضارة والقومية .

(٦٨) مالك بن نبى : مذكرات شاهد القرن ، وجهة العالم الإسلامى ط . القاهرة ١٩٥٩ .

(٦٩) محجوب بن ميلاد : الفكر الإسلامى بين الأمس واليوم . الشركة التونسية ط ٢ ١٩٦١.

(٧٠) محمد البشير الإبراهيمى : عيون البصائر . الشركة الوطنية . جـ ٢ ١٩٧١ .

(٧١) محمد البهى .د : الدين والحضارة الإنسانية . مكتبة الشركة الجزائرية. د.ت.

(٧٢) محمد البهى .د : مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة . مكتبة وهبة ١٩٧٩ .

(٧٣) محمد أحمد أبو زهرة .د : المذاهب الإسلامية . المطبعة النموذجية بمجموعة الألف كتاب . القاهرة ١٩٥٩ .

(٧٤) محمد أحمد أبو زهرة .د : تاريخ المذاهب الإسلامية ط . دار الفكر العربى . القاهرة . د .ت .

(٧٥) محمد بيصار .د : العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع . مكتبة الأنجلو المصرية ط القاهرة ١٩٧٢ .

(٧٦) محمد حسين هيكل . د : الحكومة الإسلامية . دار المعارف ١٩٧٧ .

(٧٧) محمد زكى مبارك .د : أثر التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق . رسالة دكتوراة . آداب القاهرة ١٩٣٥ . رقم ٦٩١ .

(٧٨) محمد سعيد العشماوى : الخلافة الإسلامية . دار سينا للنشر ط ٢ القاهرة ١٩٩٢ .

(٧٩) محمد طه الحاجرى .د : جوانب من الحياة العقلية والأدبية فى الجزائر . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٦٨ .

(٨٠) محمد عاطف العراقى .د : تجديد المذاهب الفلسفية والكلامية دار المعارف . ط ٣ ١٩٧٦.

(٨١) محمد عاطف العراقى .د : ثورة العقل فى الفلسفة العربية . دار المعارف القاهرة ط ٣ ١٩٧٦ .

(٨٢) محمد عاطف العراقى .د : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد دار المعارف القاهرة ط ٢ ١٩٧٩ .

(٨٣) محمد عبده : رسالة التوحيد . تعليق وتصحيح السيد رشيد رضا ط ١٧ . القاهرة ١٩٦٠ .

(٨٤) محمد عبده : الإسلام بين العلم والمدنية . عرض وتحقيق طاهر الطناحى . دار الهلال . القاهرة ١٩٦٠ .

(٨٥) محمد عبده : تفسير جزء عم . طبعة دار الشعب القاهرة ١٩٧٨ .

(٨٦) محمد عبد الحميد الرفاعى .د : عصر الخلافة الأموية . دار الثقافة العربية . القاهرة ١٩٩٠ .

(٨٧) محمد عزة دروزة : الجهاد فى سبيل الله فى القرآن والحديث . دار اليقظة العربية . دمشق ١٩٧٥ .

(٨٨) محمد عمارة .د : نظرية الخلافة الإسلامية . دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٩ .

(٨٩) محمد عمارة .د : الإمام عبد الحميد بن باديس : ملف الطليعة العدد ١١ س ٨ ١٩٨٢.

(٩٠) محمد يوسف موسى .د : بين الدين والفلسفة فى رأى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط دار المعارف ط ٢ القاهرة ١٩٦٨ .

(٩١) محمد يوسف موسى .د : القرآن والفلسفة . دار المعارف ط ٣ ١٩٧١.

(٩٢) محمود قاسم .د : الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحى لحرب التحرير الجزائرية . ط دار المعارف ١٩٦٨ .

(٩٣) مصطفى حلمى .د : الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة . دار الدعوة للنشر . القاهرة ط ٣ ١٩٨٦ . وبه مبحث بعنوان : منهج الإمام عبد الحميد بن باديس فى تصحيح العقيدة والإصلاح السياسى والإجتماعى ص ٢١٣ - ٢٣٢ .

(٩٤) منى أبو زيد .د : المنهج الإصلاحى عند ابن باديس . مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ص ١٨٣ - ٢٣٠ . العدد الثانى ١٩٩٣.

(٩٥) نصير الدين محمد الطوسى : رسالة بقاء النفس بعد فناء الجسد مطبعة رمسيس الفجالة ١٣٤٢ هـ .

(٩٦) نور الدين حاطوم .د : نحو الوحدة العربية . معهد البحوث العربية ١٩٦٩ .

(٩٧) يحيى هويدى .د : تاريخ فلسفة الإسلام فى القارة الإفريقية جـ ١ . دار النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٥ .

(٩٨) يحيى هويدى .د : محاضرات فى الفلسفة الإسلامية . النهضة المصرية . القاهرة ١٩٦٦.

(٩٩) يوسف كرم .د : تاريخ الفلسفة اليونانية . النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٦ .